قرينة السياق وأثرها في تقوية
سبب النزول أو تضعيفه

إعداد

د/ أمورة السيد إبراهيم السيد

المدرس في قسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

قرينة السياق وأثرها في تقوية سبب النزول أو تضعيفه

أمورة السيد إبراهيم السيد

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة ، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الجامعي: amora elsayed1966@azhar.edu.eg

الملخص :

لقد نالت (علوم القرآن) حظوة عند العلماء، ولقيت خدمة جليلة لكونها تخدم كتاب الله، ولعل من أكثرها فائدة، وأعظمها نفعاً أسباب النزول؛ لأنها تشتمل على فوائد جمة، منها: "معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها: تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها: الوقوف على المعنى، فبيان معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، ومنها دفع توهم الحصر، ومنها إزالة الإشكال، ولأن سياق الآيات هو معيار قوي لتقوية سبب النزول ،أو تضعيفه، والذي يؤدي بدوره إلى ضعف المعنى، واختلال النظم القرآني، أو سلامته، فقد جاء بحثي بعنوان(قرينة السياق وأثرها في تقوية سبب النزول أو تضعيفه) وقد تناولت فيه المحاور الآتية:تعريف السياق القرآني، والفرق بينه، وبين النظم، وأركانه ،وأنواعه (أقسامه)،وسماته، أهمية دلالة السياق القرآني في التفسير، أسباب الاعتماد على دلالة السياق القرآني، تعريف سبب النزول، وصيغه، أثر دلالة السياق في تضعيف سبب النزول أو تقويته، وترجيحه على غيره، وختمت البحث بالتوصية بضرورة دراسة السياق القرآني دراسة عميقة، وربطه بمباحث علوم القرآن الأخرى كأسباب النزول، وقواعد الترجيح، والقراءات، والإسرائيليات، وغيرها.

الكلمات المفتاحية: قرينة- السياق-أسباب النزول- تضعيف- تقوية-ضعف المعنى-اختلال النظم – ترجيح.

The proof of the context and its effect in strengthening or weakening

the reason behind the revelation of verses

Amora Elsayd Ibrahim Elsayd.

The department of interpretation and Quranic sciences،The faculty of Islamic and Arabic studies (Mansoura)،Al Azhar University،Egypt.

Email: Amora elsayed1966@azhar.edu.eg

Abstract:

Quranic sciences have gained a superior status among the scientists and these sciences have taken a great effort as they serve the book of God. Their most useful and greatest benefit is the reason behind the revelation of verses because it includes great benefits; Knowing the wisdom behind the legislation of the rule, the specification of the rule for whom believe in the referent of the reason, understanding the meaning as knowing the reason behind revelation is a strong way in understanding the meaning of the words of the holy book, the elimination of the illusion of limitation and removing the dispute ،As the context of the verses is a strong criterion to strengthen or weaken the reason of revelation which leads to the weakening of the meaning and distributing the Quranic discipline or putting it in its right form. The research came with the title "The proof of the context and its effect in strengthen and weaken the reason behind the revelation of verses"

The research dealt with the following ideas; the definition of the Quranic context, the difference between it and the disciplines, its pillars, parts, characteristics, the importance of the indication of Quranic context in the interpretation ,the reason behind depending on the indication of the Quranic context, the definition of the

reasons behind revelation of verses, its forms and finally the effect of the indication of the Quranic context in strengthening or weakening the reason behind the revelation of verses and its preference over the others.

The researcher ends the research with the recommendation of the necessity of studying the Quranic context deeply, connecting it with other studies in Quranic sciences. For example;

The reason behind the revelation of verses, rules of preference, readings, Israelis, etc.

Key words :Proof - context - the reason of the revelation of verses - weaken, strengthen - weakening the meaning - Distributing the discipline - preference .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد النبي الأمي، وعلى آله، وصحبه أجمعين. وبعد.

فقد نالت (علوم القرآن) حظوة عند العلماء، ولقيت خدمة جليلة لكونها تخدم كتاب الله؛ ولعل من أكثرها فائدة، وأعظمها نفعاً قاعدة أسباب النزول؛ لأنها تشتمل على فوائد جمة، منها "معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى، فبيان معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، ومنها دفع توهم الحصر، ومنها إزالة الإشكال.

ولأن سياق الآيات هو معيار قوي لتقوية سبب النزول، أو تضعيفه، والذي يؤدي بدوره إلى ضعف المعنى، واختلال النظم القرآني، أو سلامته، فقد جاء بحثي بعنوان(**قرينة السياق وأثرها في تقوية سبب النزول أو تضعيفه) ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع:**

١- أن تفسير القرآن بالقرآن أقوى طرق التفسير، وأحسنها، وأفضلها، و التفسير بالمأثور مندرج تحت هذه الأهمية، والأولوية في التفسير؛لذا فقد وقع اختياري على هذا الموضوع.

٢- اهتمام المفسرين بدلالات السياق تصريحاً، أوتلميحاً في تقوية سبب النزول، أوترجيحها على غيرها، أو تضعيفها.

٣- أهمية السياق في إحكام الفهم الديني للنص الشرعي أولاً، ثم إحكام تنزيل هذا الفهم على واقع الناس ثانياً.

٤- فهم السياق يبين مقاصد الوحي الإلهي، ومراده.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة :

* قرائن السياق ودورها في الترجيح بين المفسرين للدكتور أحمد سلامة أبو الفتوح.

* السياق القرآني وأثره في توجيه المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم – عليه السلام- رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير، إعداد الطالبة /امل بنت إبراهيم الشيخ، إشراف الأستاذ الدكتور/أمين محمد عطية باشا١٤٢٨ه – ٢٠٠٧م.

* السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص الماجيستير في التفسير وعلوم القرآن لعبد الرحمن عبدالله بن سرور، إشراف د/خالد بن عبدالله القرشي ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م

* أثر السياق في فهم النص القرآني في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان البخاري القنوجي ١٣٠٧ه، رسالة لنيل درجة الدكتوراة لمحمد بن عبدالجبار بن عبدالله الكريدي، إشراف أ.د/بشيرسالم فرج ، د/أحمد فارس.

وهذه الأبحاث تحدثت عن السياق بوجه عام، وعن المسائل المتعلقة به أما هذا البحث فقد تضمن الحديث عن السياق وعلاقته بأسباب النزول وكيف صار السياق عاملًا هامًا في تقوية سبب النزول على غيره من الأسباب الأخرى، أو تضعيفه عن غيره.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة

أما المقدمة فتشتمل على أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: يشتمل على

***تعريف السياق القرآني، والفرق بينه، وبين النظم.**

***أركان السياق القرآني.**

***أنواعه (أقسامه).**

المبحث الثاني: يشتمل على

***سمات السياق القرآني.**

***أهمية دلالة السياق القرآني في التفسير.**

***أسباب الاعتماد على دلالة السياق القرآني.**

المبحث الثالث: السياق القرآني، وأسباب النزول، ويشتمل على:

أولاً: تعريف سبب النزول، وصيغه.

ثانياً: أثر دلالة السياق في تضعيف سبب النزول أو تقويته، وترجيحه على غيره.

*** الخاتمة: تشتمل على**

***أهم النتائج.**

***التوصيات.**

***الفهارس.**

المبحث الأول

تعريف السياق القرآني، والفرق بينه، وبين النظم، وأركان السياق القرآني، وأنواعه (أقسامه).

أولاً: تعريف السياق، والفرق بينه، وبين النظم:

- **تعريف السياق:**

لغة: يقال سياق تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه[١]

السَّوْق مصدر سُقْتُ البعيرَ وغيرَه أسوقه سَوْقاً. والسَّوَق: غِلَظ السَّاقَيْن رجل أَسْوَقُ وَامْرَأَة سَوْقاءُ، وأصل اشتقاقها من سَوْق النَّاس إِلَيْهَا بضائعهم[٢].

و هو مأخوذ من تساوقت الإبل إذا تتابعت. [٣]

***اصطلاحاً**

عند علماء البيان: هوما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى، وقد يكون التوضيح بما ترد فيها اللفظة من الاستعمال، وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسراً للكلام[٤].

وعرفه اللغويون: بأنه البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة، أو هو العلاقة بين المفردات في الجملة[٥].

هو علاقة الكلمة التي وقع فيها المشترك اللّفظي مع ما قبلها، وما بعدها من كلمات الجملة، وذلك لأن الكلمات ليست أجساما بلا أرواح، ولكنها حيّة متحرّكة تعطي إشعات معينة للكلمات التي وقع فيها الاشتراك، وهي المفتاح

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة، مادة (سوف)(٨٢/١)

(٢) جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)(٨٥٣/٢)

(٣) (٣) معجم مقاييس اللغة للرازي (١١٧/٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير(٢٢٤/٢)

(٣) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث لمحمد أحمد أبو الفرج(١١٦).

(٤) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث لمحمد أحمد أبو الفرج(١١٦).

(٥) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم لعودة خليل(٧٥).

الذي يفتح المغلق منها، أوالمصباح الذي يهتدي بضوئه على تحديد معاني الكلمة المشتركة.

والمعنى لا ينكشف إلّا من خلال «تسييق» الوحدة اللّغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة.

ومعظم الوحدات الدّلالية تقع في مجاورة وحدات أخر، وأنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها، أوتحديدها إلّا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها» [١]

عند المفسرين: لم يذكروا له تعريفا بعينه، ومدلول كلامهم أنه: هو مجموع السباق واللحاق أي: مجموع المعاني المتصلة من سابق الكلام، و لاحقه[٢].

والسباق: قال فيه ابن فارس: " السين، والباء، والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقديم" [٣]؛ أي ما قبل الكلام المراد تفسيره.

واللحاق: كل شيء لحق شيئا أو لحق به[٤].

وقال أبو البقاء العكبري: السباق ما قبل الشيء، والسياق: أعم[٥]

إذاً فالمقصود بالسياق: تتابع الكلام، و تساوقه في الترتيب.

وهو" هو مجموعة القرائن اللفظية، والحالية الدالة على قصد المتكلم من خلال تتابع الكلام وانتظام سابقه، ولاحقه به"[٦]

دلالة السياق بمعناها العام: فهم النص بمراعاة ما قبله، وما بعده.

---

(١) المشترك اللفظي في الحقل القرآني لعبد العال سالم مكرم(٢٣).

(٢) عقود المرجان في قواعد المنهج الأمثل في تفسير القرآن لأحمد سلامة أبو الفتوح(١١٧).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦٢٨)

(٤) لسان العرب لابن منظور (٢٥١/١٢)

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (٥٠٨).

(٦) أثرالسياق في النظام النحوي على كتاب" البيان في غريب إعراب القرآن لابن الانباري" للدكتور نوح الشهري (٧٩)

دلالة السياق في التفسير: بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجه عن السابق، واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم له مع الإهتمام في كل ذلك بالألفاظ، والمعاني.

***العلاقة بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي:**

وبعد التعريف يتضح لنا الارتباط الوثيق بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي حيث إن المعنى اللغوي من تساوقت الإبل إذا تتابعت، والمعنى الاصطلاحي يعني ترابط الكلام ارتباطاً وثيقاً مع سابقه ولاحقه.

الفرق بين السياق، والنظم:

النظم هو: تأليف الكلمات مترتبة المعاني متناسقة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل لا تواليها في النطاق، وضم بعضها إلى بعض كيفما اتفق بخلاف نظم الحروف فإنه تواليها في النطق من غير اعتبار معنى يقتضيه[١].

وهذا يعني أن النظم هوالذي يربط المعنى باللفظ، ويجعل اللفظ في تناسب، وتناسق مع المعنى.

والقرآن الكريم إنما صار معجزا؛لأَنه جاءَ بأَفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف متضمنًا أصح المعاني.

فالنظم هو الذي يكشف عن حسن ارتباط المعاني بألفاظها، وهو ما يكثر الحديث عنه في بيان الوجوه البيانية؛ كاختلاف المعاني للألفاظ التي تنعت بالمترادفة، والتقديم، والتأخير، والحذف، والذكر، والتعريف، والتنكير فإذا أطلق النظم قصد به أوجه الإختلاف هذه، وما ينشأ عنها من نكت بيانية.

أما السياق فإنه يختلف عن النظم بهذا الاعتبارحيث إنه يبحث في الدلالات المعنوية الآتية في مساق واحد، ومدى انسجامها فيما بينها بحيث تشكل قطعة موضوعية من الحقائق العقدية، أو التشريعية، أوالآفاقية، والكونية بما يحقق للإنسان درب الهداية، والفلاح، ومدى ترابط المعاني، وتتابعها في طريق واحد؛ لأجل الوصول إلى غاية محددة.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) (٣١/١).

إذاً فالسياق يبحث في ترابط المعاني بالمعاني السابقة، واللاحقة، والنظم يبحث في ترابط المعاني بألفاظها، وبهذا يظهر الفرق بين المصطلحين، وبعبارة دقيقة موجزة السياق هوعلاقة المعنى بالمعنى، والنظم هوعلاقة اللفظ بالمعنى.

وعلى ذلك فالسياق خادم للنظم؛ إذ إن النظم اختص بإيضاح الوجوه البيانية، ومدى تناسب المعاني مع ألفاظها؛إذ لا يتضح المعنى، ويُبيَّن وجهه حتى يتم استجلاء السياق من حيث دلالته المعنوية بسباقه، ولحاقه، ومن ثَم يتضح الوجه المبحوث عنه من ناحية النظم؛لأن ذلك أدعى لتلمس الحقيقة، والكشف عن وجه حسنها(١).

ثانياً: أركان السياق:

الركن: هو ماهية الشيء.

وأركان السياق تتضح من تعريف السياق

و**السياق**: هو بيان اللفظ، أوالآية في الجملة بما لا يخرجه عن السابق، واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم له، مع الاهتمام في كل ذلك بالألفاظ، والمعاني.

وعلى ذلك فأركان السياق هي:

الركن الأول: السباق: جمعه أسباق، والسباق ما قبل الشيء، وهو أصل واحد صحيح يدل على التقديم، والسِّباقان: قيد أرجل الطائر الجارح بسير، أو خيط، وسباق البازي قيداه من سير، وغيره(٢).

إذاً فالسباق لغة يعني تقدم شيء على آخر، وترابطهما إما حساً كسباق البازي الذي هو الربط، والقيد، أومعنى كربط الكلام بسابقه، فهناك ربط، وجمع بين شيئين أحدهما يسبق الآخر، ولا يمكن الوصول إلى تحديد المعنى المراد دون الرجوع إلى مايسبقه من جمل تشتمل على القرائن المؤدية إلى المعنى.

---

(١) دلائل الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١ هـ) (٤٠-٤٥) بتصرف.

(٢) اللسان (١٥٢/٤٠)، معجم مقاييس اللغة(١٢٩/٣) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) (٨٥/٥).

السباق اصطلاحا:

بالنظر إلى المعنى اللغوي، وتطبيقات المفسرين نجد أن السباق هوالكلام الذي يبين معنى ما بعده.

مثالـه: قـول نَـافِعَ بْـنَ الْأَزْرَقِ[١] لِابْـنِ عَبَّـاسٍ: يَـا أَعْمَـى الْبَصَـرِ، أَعْمَـى الْقَلْبِ، تَزْعُمُ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّار، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَمَـا هُـمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾[٢] فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَيْحَكَ، اقْرَأْ مَا فَوْقَهَا، هَذِهِ لِلْكُفَّارِ ﴾[٣].

و قد أنكر الزمخشري هذا الحديث حيث قال بعد ذكره لهذا الحديث.

"فمما لفقته المجبرة، وليس بأول تكاذيبهم، وفراهم، وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق ابن عمّ رسول اللَّه ﷺ وهو بين أظهر أعضاده من قريش، وأنضاده من بنى عبد المطلب، وهو حبر الأمّة، وبحرها، ومفسرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أهل الدنيا، ويرفعه إلى عكرمة دليلين ناصين أن الحديث فرية ما فيها مرية"[٤].

و الآية السابقة لها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْـأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٥]

وعلى فرض إنكاره خاصة لما فيه من منافاة التوقير الواجب لحبر الأمة، وترجمان **القرآن** إلا أنه صحيح في المعنى خاصة، وأنه قد اتفق مع قول معظم المفسرين.

---

(١) نافع بن الأزرق الحروري، من رؤوس الخوارج، كان من رؤوس الخوارج وإليه تنسب الطائفة الأزارقة وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية، قتل في جمادى الآخرة سنة خمس وستين.لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٢٤٦/٨)

(٢) [المائدة: ٣٧] ونص الآية (يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ)

(٣) تفسير الطبري لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) (٤٠٦/٨).

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)(٦٣٠/١).

(٥) المائدة: ٣٦

قال ابن عطية: " وأخبر تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم ليسوا بخارجين من النار بل عذابهم فيها مقيم متأبد"[١]

قال الرازى: " احْتَجَّ أَصْحَابُنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه» عَلَى سَبِيلِ الْإِخْلَاصِ. قَالُوا: لِأَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ تَهْدِيدَاتِ الْكُفَّارِ، وَأَنْوَاعِ مَا خَوَّفَهُمْ بِهِ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، وَلَوْلَا أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى مُخْتَصٌّ بِالْكُفَّارِ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِتَخْصِيصِ الْكُفَّارِ بِهِ مَعْنًى، واللَّه أَعْلَمُ.

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هَذَا الَّذِي قُلْنَاهُ قَوْلُهُ " **وَلَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ**" وَهَذَا يُفِيدُ الْحَصْرَ، فَكَأَنَ الْمَعْنَى وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ لَا لِغَيْرِهِمْ، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ(لَكُمْ دِينَكُمْ) [٢]أي لكم لا لغيركم، فكذا هاهنا[٣]

الركن الثاني: اللحاق

اللحاق لغة: أصل يدل على إدراك شيء، وبلوغه إلى غيره، يقال: لحق فلان فلانا فهو لاحق، وربما قيل: لحقته اتبعته، وألحقت به أي وصلت إليه، وتلاحقت الأخبار أي تتابعت، وهو مجاز[٤].

إذاً فاللحاق في اللغة: إدراك شيء لشيء، وتجاوزه إلى ما بعده، وبينهما رابطة، وعلاقة.

اصطلاحاً: بالنظر إلى المعنى اللغوي، وتطبيقات المفسرين يتبين أن اللحاق: هو الكلام الذي يبين معنى ما قبله.

مثاله: ما روي عن قتادة في تفسير قوله: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ**

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) (١٨٧/٢).

(٢) سورة الكافرون جزء من آية: ٦

(٣) مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) (٣٥١/١١).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢٣٨/٥)، تاج العروس (٦١/٧).

مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[١]، متى يكون ذلك؟ قال: يوم القيامة، ألا ترى أنه يقول: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾[٢]

قال البغوي في تفسير هذه الآية: اختلفوا في أن هذا القول متى يكون ؟ فذهب بعض العلماءإلى أن هذا القول لعيسى -عليه السلام -حين رفعه الله إلى السماء؛لأن حرف (إذ) يكون للماضي، وقال سائر المفسرين: إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله من قبل: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[٣]، بدليل قوله بعد هذا: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾[٤]، وأراد بهما يوم القيامة، وقد تجيء "إذ" بمعنى "إذا" كقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾[٥] أي: إذا فزعوا يوم القيامة، والقيامة، وإن لم تكن بعد، ولكنها كالكائنة لأنها آتية لا محالة، قوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾[٦] فإن قيل: فما وجه هذا السؤال مع علم الله أن عيسى لم يقله قيل: هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه، وتعظيم أمر هذه المقالة كما يقول

---

(١) المائدة: ١١٦

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر (٢٣٥/١١)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) (١٢٥٣/٤)-.

(٣) المائدة: ١٠٩

(٤) المائدة جزء من الآية: ١١٩

(٥) سبأ: ٥١

(٦) سورة المائدة جزء من آية: ١١٦

القائل لآخر: أفعلت كذا، وكذا فيما يعلم أنه لم يفعله إعلاما، واستعظاما لا استخبارا، واستفهاما، وأيضا أراد الله عز وجل أن يقر عيسى -عليه السلام- على نفسه بالعبودية، فيسمع قومه منه، ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك، ثم يقول مجيبا لله عز وجل: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾، تنزيها لك، وتعظيما ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾، قال ابن عباس: تعلم ما في غيبي، ولا أعلم ما في غيبك، وقيل: تعلم سري، ولا أعلم سرك، وقيل: تعلم ما كان مني في دار الدنيا، ولا أعلم ما يكون منك في الآخرة، أوالنفس عبارة عن جملة الشيء، وحقيقته أى تعلم جميع ما أعلم من حقيقة أمري، ولا أعلم حقيقة أمرك إنك أنت علام الغيوب ما كان، وما يكون[1].

الجمهور على أن هذا السؤال يكون في يوم القيامة دليله سياق الآية، وسباقها.

الركن الثالث: ألفاظ الكلام:

ويتكون هذا الركن من ثلاثة أجزاء:

١- المفردات: حيث إنها مفتاح النص، وزمام ما فيه من دقيق المعنى.

٢- الكلمة: لابد من التركيز على تصريفاتها واشتقاقها ؛لأن المعنى يختلف باختلاف الألفاظ.

٣- النظر في نظم الجملة الواحدة، ثم في نظم الجمل، وعلاقتها ببعض.

ففي تفسير القرآن لابد من معرفة مراد الله من الألفاظ، وذلك لايتم إلا بمعرفة العربية التي خوطبنا بها كما أنها لغة القرآن الكريم.

ثالثاً: أنواع السياق (أقسامه):

أربعة أنواع:

النوع الأول: سياق القرآن.

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) (١٠٥/٢)بتصرف.

النوع الثاني: سياق السورة.

النوع الثالث: سياق النص، أوالمقطع، أوالآيات.

النوع الرابع: سياق الآية.

وهذه الأنواع الأربعة ليس بينها تعارض بل هي مؤتلفة ائتلافاً عجيباً ليس بينها تعارض بل ينتج عنه معاني متعددة، وأغراض متنوعة، وهذا هو السبب في احتمال القرآن للوجوه الكثيرة، والمعاني المتنوعة.

النوع الأول: سياق القرآن.

والمراد بهذا النوع مقاصد القرآن الأساسية، والمعاني الكلية التي تسمى بالكليات في القرآن، وهذا النوع يشتمل على مقاصد القرآن العظمى منها إصلاح الاعتقاد، تهذيب الأخلاق، بيان التشريع، سياسة الأمة، وحفظ نظامها، قصص الأمم السالفة للتأسي بهم في صلاح أحوالهم، وأخذ العبرة من سوء عاقبتهم إن فسدوا التعليم بما يناسب حال المخاطب، وما يؤهله لتلقي الشريعة، المواعظ، والإنذار، والتبشير، والتحذير، الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسولﷺ[١].

كذلك يشتمل على المعاني الكلية، والمراد بها الألفاظ التي يطرد، أو يغلب استعمال القرآن الكريم لها بمعنى واحد غالباً في جميع سوره.

كما يشتمل على الأساليب المطرده، والمراد به ما يستعمله القرآن من أساليب، ويطرد في القرآن كله، وهذا ما يسمى بعادة القرآن[٢].

ثانياً: سياق السورة.

من أعظم دلائل الإعجاز في القرآن الكريم أنه بني على سور متفرقة لكنها منتظمة في بناء واحد محكم بالرغم من أن كل سور القرآن لم تنزل دفعة واحدة بل معظمها نزل مفرقا، وكل سورة منها وحدة متكاملة متناسقة يسمى بوحدة السورة، أو سياقها.

ووحدة السورة، أوسياقها العام هو الذي يطلع القارىء على مضمون السورة كلها، وكل سورة من سور القرآن مترابطة ترابطاً تاماً ترابط معنوي،

---

(١) التحرير والتنوير(٣٧/١) باختصار.

(٢) قرائن السياق ودورها في الترجيح بين المفسرين للدكتور أحمد سلامة أبو الفتوح (١٧)

وترابط لفظي.

ولا ريب فذلك كلام رب العالمين، قال البقاعي: "إن معرفة مناسبة الآيات في جميع القرآن مترتبة على معرفة الغرض الذي سيقت له السورة"[١]

ثالثاً: سياق النص أوالقصة:

سياق النص هو جزء ووحدة من جملة السورة يكون موضوعه واحداً لكنه يتناسب مع وحدة السورة العام، قال البقاعي: (إن آيات القرآن بينت بياناً شافياً في اللفظ، والمعنى مع كونها مفصلة إلى أنواع من المعاني، وإلى مقاطع، وغايات ترقى جلائل المعاني إلى أعلى النهايات، حال كونه قرآناً أي جامعاً مع التفصيل) [٢].

وهذا يظهر في سياق القصص، وبعض التشريعات، والموضوعات، ولو أنعمنا النظر في كل سورة لوجدناها تتجزأ إلى عدة مقاطع كل مقطع يتضمن غرضًا مستقلاً، ثم تجتمع كلها تحت غرض أصيل.

رابعاً: سياق الآية:

كل آية في كتاب الله تحمل غرضاً مستقلاً، وهذا هو سر الفواصل بين الآيات، وقد تناول المفسرون هذا النوع كثيراً في تفسيرهم للقرآن، والترجيح بين المعاني.

فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(٤)**﴾[٣]

قال صاحب التحرير والتنوير: كَانَ فَاشِيًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ رَمْيُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِالزِّنَى إِذَا رَأَوْا بَيْنَ النِّسَاءِ، وَالرِّجَالِ تَعَارُفًا، أَوْ مُحَادَثَةً.

وَكَانَ فَاشِيًا فِيهِمُ الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ بُهْتَانًا إِذَا رَأَوْا قِلَّةَ شَبَهٍ بَيْنَ الْأَبِ، وَالِابْنِ، فَكَانَ مِمَّا يَقْتَرِنُ بِحُكْمِ حَدِّ الزِّنَى أَنْ يُذَيَّلَ بِحُكْمِ الَّذِينَ يرْمونَ الْمُحْصنَات

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسورلإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) (٢٣/١).

(٢) المصدر السابق(١٣٦/١٧).

(٣) سورة النور: ٤

بالزنى إِذَا كَانُوا غَيْرَ أَزْوَاجِهِنَّ، وَهُوَ حَدُّ الْقَذْفِ، وَالرَّمْيُ حَقِيقَتُهُ: قَذْفُ شَيْءٍ مِنَ الْيَدِ، وَشَاعَ اسْتِعْمَالُهُ فِي نِسْبَةِ فِعْلٍ، أَوْ وَصْفٍ إِلَى شَخْصٍ، وَحُذِفَ الْمَرْمِيُّ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِظُهُورِ الْمَقْصُودِ بِقَرِينَةِ السِّيَاقِ، وَذِكْرِ الْمُحْصَنَاتِ[١]().

وقسم الدكتورعبد الرحمن بودرع السياق القرآني إلى خمسة أنواع:

أولاً: السياق المكاني: ويعني سياق الآية، أو الآيات داخل السورة، وموقعها بين السابق من الآيات، واللاحق.

ثانياً: السياق الزمني للآيات، أوسياق التنزيل، ويعني سياق الآية بين الآيات بحسب ترتيب النزول.

ثالثاً: السياق الموضوعي، ومعناه دراسة الآية، أوالآيات التي يجمعها موضوع واحد.

رابعاً: السياق المقاصدي، ومعناه النظر إلى الآيات القرآنية من خلال مقاصد القرآن الكريم، والرؤية القرآنية العامة للموضوع المعالج. خامساً: السياق التاريخي بمعنييه العام، والخاص، فالعام هو سياق الأحداث التاريخية القديمة التي ذكرها القرآن الكريم، والمعاصرة لزمن التنزيل، والخاص هو أسباب النزول [٢].

---

(١) التحرير والتنوير(١٥٨/١٨).

(٢) أثر السياق في فهم النص القرآني، للدكتور عبد الرحمن بودرع، مجلة الإحياء، العدد ٢٥، ص٧٣.

المبحث الثاني

سمات السياق القرآني، وأهمية دلالة السياق القرآني في التفسير، وأسباب الاعتماد على دلالة السياق القرآني

أولاً: سمات السياق القرآني:

والسياق القرآني يتسم عن السياقات البشرية بسمات عدة منها:

١- ضبط السياق القرآني لفهم المتلقي، فالسياق هو صاحب السلطة في تحديد دلالة الألفاظ، ومعانيها المقصودة، فهو الضابط لفهم المتلقي؛لأن الألفاظ إذا تركت على عواهنها دون عقال حملت ما يراد، وما لا يراد من معان؛ لذا كان السياق القرآني مُقَيّداً مُحددا للمعاني.

٢- عدم قابليتة للتفكيك، أو التجزئ فالقرآن يتسم بالترابط، والتشابك بين آياته، فلا انفصال ولا انقطاع، وذلك يعود لترابط المعاني، وتتابعها – ولا ريب - ؛ فالقرآن كلام واحد، وسياق متواصل من أوله إلى آخره.

٣- مرونته، وحيويته؛إذيتمتع باحتمالية عدة معان ذلك أن دلالاته متنوعة، وهي مظهر إيجابي يدعو إلى إذكاء عقل المجتهد، وعدم قصره على معنى واحد لا غير، وفي الوقت نفسه يضبط بضابط السياق؛إذ يعطيه مجالا محددا في المعاني، والمفاهيم، وهي ما عُرف فيما بعد بعلم التأويل[١].

ثانياً: أهمية دلالة السياق القرآني:

تظهر أهميته السياق في الاستدلال به في التفسير، والرجوع إليه عند الاختلاف، وقد أولى العلماء السياق عناية خاصة في فهم كل كلام، لا سيما في النصوص الشرعية التي هي مرجع الشريعة الإسلامية، وخاصة القرآن الكريم؛ لذلك اهتم به العلماء عامة، والمفسرون خاصة، وجعلوه طريقا سليما لتفسير كتاب الله تعالى.

فإن تحديد معنى الكلام بشكل دقيق يتطلب معرفة نسق الكلام، ونظمه لكي

---

(١) انظر: نظرية السياق القرآني (دراسة تأصيلية دلالية نقدية) لمحمود المثنى عبد الفتاح (٥٤).

يتبين المعنى المطلوب؛ لأنّ علاقة السياق بالدلالة علاقة وثيقة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر؛ لأنّ اختلاف الدلالات، وإبرازها في قوالب الألفاظ لا تكاد تدخل تحت الحصر، وما يقوم به السياق هو تحديد المعنى المراد لكثير من الكلمات؛لأن الكلمة تعطي معاني مختلفة إذا كانت مفردة، أمّا إذا وضعت في نظوم الكلام فإنّها تميّز المعنى المقصود من النص؛ لأنّ النص، والسياق يكمل أحدهما الآخر، ومن هنا تتضح لنا أهمية السياق في اللغة[١].

وتظهر أهمية السياق في أمور:

أولاً: تظهر أهميته من خلال تفسيرالقرآن بالقرآن.

السياق مرتبط حقيقة بالقرآن نفسه من حيث إنه تفسير للقرآن بالقرآن بل هو أعلى درجات تفسير القرآن بالقرآن إذا كان صريحاً؛لأنه تفسير الآية بما تضمنته من الدلائل، والقرائن وبحسب مناسبتها لما قبلها وبعدها، وذلك يؤكد أهميته، واعتباره أصلاً في التفسير.

فقد يكون في بعض ألفاظ القرآن لبس، وخفاء فيأتي القرآن بما يزيله، ويفسره إما بعده مباشرة، أو في موضع آخر وارد مورد البيان له، ومن أمثلته تفسير الهلوع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ بقوله بعده ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾ [٢]

فهذا ولا شك أبلغ أنواع التفسير، ولا قول لأحد معه، ومثله لا يتخلف فيه، وهو الذي يصنّف من التفسير بالمأثور.

و معناها شَحِيحًا جَزُوعًا، والهلع: شدّة الجَزَع مع شدّة الحرص والضجر، والمراد بالإنسان هنا الكافر.

ومعنى قوله تعالى ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ إذا قلّ ماله وناله الفقر والعدم فهو جزوع من ذلك، لا صبر له عليه، وقوله ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ أي إذا كثر ماله، ونال الغنى فهو منوع لما في يده بخيل به لا ينفقه في طاعة الله، ولا

---

(١) البحث الدلالي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي(ت ٨٨٥ هـ)لعزيز سليم علي القريشي (١٩٤)

(٢) سورة المعارج: ١٩-٢١

يؤدّي حق الله منه[١].

ثانياً: أنه أصل معتبر ظاهر في تفسير النبي ﷺ، والسلف الصالح.

من أعظم ما يدل على أهميته أنه وارد في تفسير النبيﷺ ، والسلف الصالح من بعده

بل قد تجلى ذلك في إنكارهم على من فهم الآية على غير السياق، والغرض الذي وردت لأجله.

فمن أمثلة اعتباره في تفسير النبي ﷺما ورد عن عائشة- رضي الله عنها- أنها سألت النبي ﷺعن قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾[٢]، فقالت: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم ﴿**أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون**﴾[٣].

فقد بين النبيﷺمعنى الآية بسياقها، وذلك لاستدلاله بآخر الآية بقوله: ﴿**أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾[٤]وهو موافق لآخر الآية بزيادة كلمة (الذين).

ومن أمثلة اعتبار السياق في تفاسير السلف: ما أخرجه ابن جرير بسنده عن سعيد ابن جبير في قوله تعالى: ﴿**فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي**﴾[٥]قال: عيسى[٦]، أما

---

(١) تفسير الطبري (٦١١/٢٣)

(٢) سورة المؤمنون ٦٠

(٣) سورة المؤمنون: ٦١، هذا الحديث أخرجه الإمام الترمذي وصححه في سننه رقم (٣١٧٥) (١٨٠/٥) باب ومن سورة المؤمنون، وابن ماجة في سننه باب التوقي على العمل برقم (٤١٩٨)(١٤٠٤/٢) والإمام أحمد في مسنده باب مسند الصديقة عائشة بنت الصديق برقم (٢٥٧٠٥) (٤٦٥/٤٢)،

(٤) المؤمنون: ٦١

(٥) مريم: ٢٤

(٦) أي المراد ب(مِن تَحْتِهَا) عيسى-عليه السلام-.

تسمع الله يقول: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [١]، [٢] وهذا ما رجحه الإمام ابن جرير- رحمه الله- مراعاة للسياق أيضاً.

ثالثاً: أن السياق أصل معتبر في التفسير عند العلماء.

يعتبر السياق عند العلماء، والمفسرين أساساً في فهم الكلام، وأصلاً يحتكم إليه، وبخاصة في كلام الله تعالى الذي بني على أغراض معتبرة، ونظم متحد، وقد تضافرت، وتواترت أقوال العلماء في تأكيد ذلك، وتقريره.

وهذا مطلوب في جميع القرآن، فإنّ اللفظ المفرد فيه لا يحسن أن تفسّر مستقلّة عن سياقها.

قال العزّ بن عبد السّلام: «السّياق مرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكلّ ذلك بعرف الاستعمال فكلّ صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا، وكلّ صفة وقعت في سياق الذّمّ كانت ذمّا، فما كان مدحا بالوضع فوقع في سياق الذّمّ صار ذمّا، واستهزاء، وتهكّما بعرف الاستعمال»[٣].

فمثلاً قوله تعالى في وصف قوم شعيب له: ﴿ **قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾[٤] مجرّدة عن اعتبار عداوتهم له، ورفضهم لدعوته تعد ثناءاً منهم عليه، وليست كذلك إنّما أرادوا التّهكّم به، والسّخرية منه، وهذا يتضح من السياق، ومعرفة أحداث القصة.

وقَالَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ: (إِذَا حَدَّثْتَ عَنِ اللَّهِ حَدِيثًا، فَأَمْسِكْ فَاعْلَمْ مَا قَبْلَهُ،

---

(١) مريم: ٢٩

(٢) تفسير الطبري، أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)(٥٠٤/١٥)، تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)(٢٢٤/٥)

(٣) الإمام في بيان أدلّة الأحكام، للعزّ بن عبد السّلام (١٥٩).

(٤) سورة هود: ٨٧

وَمَا بَعْدَهُ) [١]

فالسياق عمدة في فهم كلام الله تعالى، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده، ولا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض.

إذاً فأهمية السياق واضحة في تحديد صيغة الأمر، ودلالتها على الوجوب، أوالندب، أوالإباحة، وهذا مما أدى إلى وقوع الخلاف بين الأصوليين في دلالة هذه الصيغة بين(الوجوب في العمل، أو الندب، أوالإباحة)، أو غير ذلك.

وقد اتفق علماء الأصول على أن صيغة الامر عندما تصدر من الشارع تكون ظاهرة في الوجوب؛ لأنّ المراد من الأمر الإلزام، **واستدلوا على ذلك بأدلة منها:**

١- أن المتبادر المسبق إلى الفهم عند إطلاق كلمة الأمر هو الطلب الحتمي الإلزامي.

٢- أن كلمة الأمر، وإن كانت موضوعة للوجوب إلاّ أنها ظاهرة بحكم العقل؛ لأن العقل يوجب طاعة أوامر المولى.

والذي يبدو أن الأصوليين متفقون على أهمية السياق في تحديد صيغة (أفعل) إن كانت مجردة من القرائن، أو متحفة بها، والشأن في الحالتين مختلف؛ لأن دلالة صيغة الأمر مفردة تختلف عن دلالتها في السياق متحفة بالقرائن.

إن الأمر يدل بصيغة على طلب الفعل على سبيل الإيجاب، والوجوب الملزم، وقد أشار البقاعي إلى هذا الغرض في دلالة الأمر على الوجوب، وجاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا...﴾ [٢].

قال البقاعي: (وذلك دال على وجوب السلام من الأمر، وعلى الفور من

---

(١) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) (٢٣١/٧)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) (٢٩٢/٢).

(٢) سورة النساء جزء من آية: ٨٦

الفاء، والإجماع موافق لذلك، وترك الجواب إهانة، والإهانة ضرر، والضرر حرام) فإن صيغة الأمر في قوله(فحيوا)دالة على وجوب السلام بإجماع الجمهور[١].

كما أن فكرة التناسب القرآني قديمة قدم القرآن نفسه، ولطالما لفت النبي ﷺ المسلمين إلى التعامل مع القرآن الكريم باعتباره وحدة واحدة، وتنبه الصحابة، ومَن بعدهم إلى أهمية السياق في التوصل إلى الفهم الصحيح للنص القرآني، والمعاني الإضافية التي يفيدها ترتيب آي القرآن، وسوره، وانطلقوا في تفسيراتهم، وتأويلاتهم منها، ولعل ضعف السليقة العربية في العصور التالية من جهة، وتركيز الكثيرين على التفصيلات، والتفريعات النحوية، والفقهية، وغيرهما مما أدى إلى غياب النظرة الكلية لآيات القرآن الكريم، وسوره.

ولما كان النص القرآني نصاً محكماً، وكان نظمه الخاص به من أبرز وجوه الإعجاز عند القدماء فقد تنبه علماؤنا القدماء على أهمية السياق فيه ؛ للكشف عن أسراره، ونكته؛ لذا قال الإمام الزركشي: «إِنَّ دَلَالَةَ السِّيَاقِ تُرْشِدُ إِلَى تَبْيِينِ الْمُجْمَلِ، وَالْقَطْعِ بِعَدَمِ احْتِمَالِ غَيْرِ الْمُرَادِ، وَتَخْصِيصِ الْعَامِّ، وَتَقْيِيدِ الْمُطْلَقِ، وَتَنَوُّعِ الدَّلَالَةِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْقَرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ، فَمَنْ أَهْمَلَهُ غَلِطَ فِي نَظِيرِهِ، وَغَالَطَ فِي مُنَاظَرَاتِهِ، وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩)**﴾ [٢]كَيْفَ تَجِدُ سِيَاقَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ»[٣].

كل هذه الأقوال تدل على أن العلماء اهتموا بالسياق القرآني، واتخذوه كمنهج مأمون في تفسير كلام الله عز وجل؛ لأن له الأثر الأكبر، والقيمة العظمى في تحديد المعاني، وفهم الكلام.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)(٣٥١/٥).

(٢) سورة الدخان: ٤٩

(٣) البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)(٢٠٠/٢).

ثالثاً: أسباب الاعتماد على دلالة السياق القرآني:

١- أن السياق ضرورة لغوية:

إن وجوب تتبع القياس ضرورة لغوية صرفة، لا يمكن تجاهلها، أوالتقليل خاصة، وأن شأن اللغة العربية أكبر من غيرها؛ لتعدد أغراضها، وتنوع أساليبها، وسعة معانيها، وهذه الصفات للغة العرب كان سببا لاختلاف العلماء في جواز ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى.

٢- الاهتمام بالسياق يجعل الكلام منتظماً متسقاً:

وأولى كلام يجب أن يكون على هذا النسق هو القرآن الكريم، فإذا أغفل المفسر هذا الجانب جاء الكلام متنافرا مع ما قبله، وما بعده منقطعة أجزاؤه بعيدة علاقاته، وهذا ممتنع في كتاب الله تعالى؛ لذهاب جمال القرآن، وإعجازه، وانتظام جمله، وآياته بهذا التعامل الخاطيء.

٣- إظهار الإعجاز البياني في القرآن الكريم:

امتاز النظم القرآني بجزالة الأسلوب، وقوته، والتناسق، والترتيب سواء في مبادئ الآيات، أومقاطعها، أو في ترابط الآيات، واتساقها، وهوعلى أتم وجه، وأكمله.

وعلى كل مفسر للقرآن أن يراعي سياق الآيات، فهو بلا شك يعتبر موضحاً، ومبيناً لوجوه من بلاغة القرآن، وبيانه، وبديعه؛ لأن الاهتمام بالسياق يوصل إلى المعنى الصحيح المقصود، وأيضا يظهر جمال القرآن في نظمه، وإعجازه في بيانه، وحين يبعد المفسر عن تتبع السياق فإن مآل تفسيره إلى غلط، ونقص ثم يرجع في النهاية إلى تشويش إعجاز القرآن الكريم البياني على المخاطبين.

وقد ظهر ذلك جلياً في متشابه القرآن الكريم، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ**﴾[١]، وفي سورة: ﴿**وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ**﴾[٢]، اختصت سورة التكويربقوله: "**سجرت**"، وسورة الانفطار بقوله "**فجرت**"؟ لأن قوله: "سجرت"

---

(١) سورة التكوير: ٦

(٢) سورة الانفطار: ٣

معناه ملئت من قولك سجرت التنور إذا ملائته بالحطب، والمراد اجتماع مياهها، وأما قوله: "فجرت" فتح بعضها، واختلط العذب بالمالح فصار بحراً واحداً بزوال البرزخ الحاجز بينهما، وكل من الإخبارين يؤدي معنى غير المعنى الآخر، فإن الامتلاء غير الانفجار، ثم كل من الإخبارين مناط بالآخر لما بينهما من الشبه، ولهذا جرى كلام أكثر المفسرين على تفسير كل واحد من اللفظين بما يحرز المجموع من معنييهما، وتفاصيل ذلك على ما ذكرته مما يقتضى التباين لا الترادف، والإخبار بكل واحد منهما مقصود معتمد لكمال المراد.

وإنما خصت سورة الانفطار بلفظ الانفجار ليناسب مطلع السورة وافتتاحها، ألا ترى في انفجار العذب إلى المالح، والمالح إلى العذب وبعضها إلى بعض انفطار ناسب انشقاق السماء وانفطارها. فانفطار السماء، وانفجار البحار، وبعثرة القبور، وانتشار النجوم، كل ذلك متناسب أوضح تناسب وأبينه، وحشر الوحوش وتزويج النفوس، وتسجير البحار هذا كله اجتماع وائتلاف يناسب بعضه بعضاً، كما أن انفطار السماء، وانتثار الكوكب، وتفجر البحار، وبعثرة القبور، يناسب بعض ذلك بعضاً، فالتحام هذه الجمل في السورتين أبين التحام وأوضحه ملاءمة وتناسباً. فورد كل من ذلك على ما يجب ويناسب، والله أعلم بما أراد[١].

٤- دلالة السياق هو العامل الأساسي في توجيه المعنى: لا خلاف بين العلماء على اعتبار دلالة السياق في تحديد مراد كلام الله، وكلام العرب، وإن اختلفوا في تأثيرها في استنباط الأحكام، فأما الأول، وهو مدار حديثنا فعليه أدلة من السنة الشريفة، ومن أقوال أهل العلم، فمن السنة:

ما رواه الترمذي من حديث عائشة زوج النبيﷺ، قالت: سألت رسول الله عن هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [٢] قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون، قال: (لا يا بنت الصديق؛ ولكنهم: الذين يصومون،

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)(٥٠٣/٢) بتصرف.

(٢) سورة المؤمنون جزء من آية: ٦٠

ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم) ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[١].

ففي هذا المثال لم تنظر السيدة عائشة - رضي الله عنها - إلى سياق الآية، وظنت أنها في الذين يقترفون كبائر الذنوب، فلفت النبي عليه السلام نظرها إلى الآية التي بعدها ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، ولكن النبي ﷺ وظف السياق في تصحيح المعنى التي فهمته السيدة عائشة من الآية.

و من ذلك أيضاً ما ورد، قال رجل لعلي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين، أرأيت قول الله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [٢]، وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون، قال له علي: ادنه، ادنه!، ثم قال ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ولَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [٣]يوم القيامة"

عن ابن عباس قال: "كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: أنه من قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم.

قال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [٤] فقال: بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً. فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. فما تقول؟. قلت هو أجل رسول الله أعلمه له. قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[٥]، فقال عمر ما أعلم منها

---

(١) سورة المؤمنون جزء من آية: ٦١
(٢) سورة النساء جزء من آية: ١٤١
(٣) سورة النساء جزء من آية: ١٤١
(٤) سورة النصر: ١
(٥) سورة النصر: ٣

إلا ما تقول"[١].

أما ما نقل عن السلف من اعتمادهم على السياق في فهم كتاب الله فأكثر من أن يحصى، من ذلك: ما روي عن مسلم بن يسار البصري قوله: "إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله، وما بعده".[٢]

وقول ابن عبد البر في رده على من يستدل بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [٣]، على أن الفطر في رمضان للمسافر عزيمة بأن السياق يدل على أنه رخصة، وهو قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [٤].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٤٢٩٤)(١٤٩/٥)، والطبراني في مسنده (باب مناقب عبدالله بن عباس)برقم(١٠٦١٧)(٢٦٤/١٠)والأصبهاني في حلية الأولياء (٣١٦/١)

(٢) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور لعادل بن محمد أبو العلاء (٢١).

(٣) سورة البقرة جزء من آية: ١٨٤

(٤) سورة البقرة جزء من آية: ١٨٥

المبحث الثالث

السياق القرآني، وأسباب النزول

ويشتمل على:

أولاً: تعريف سبب النزول، وصيغه.

ثانياً: أثر دلالة السياق في تضعيف سبب النزول، أو تقويته، وترجيحه على غيره.

أولاً: تعريف سبب النزول، وصيغه:

تعريف سبب النزول:

هو ما نزلت الآية، أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه.

والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال[١].

*** صيغه:**

الصيغ التى يرد بها سبب النزول:

قرر العلماء انطلاقا من تتبع أسباب النزول فى القرآن الكريم أن العبارات الدالة على أسباب النزول تأتى على وجهين:

إما أن تكون صريحة فى كون الحادثة؛ أونحوها سببا فى نزول الآية، فعندئذ تكون تلك الصيغة نصا فى السببية لا يقبل التأويل، أوالاحتمال.

وإما أن تكون العبارة غير صريحة فى السببية فتكون عندئذ محتملة، فيجوز أن تكون تعبيرا عن السبب كما يصلح أن تكون تعبيرا عن تفسير الآيات، وبيان معناها، وما تضمنته من أحكام، وفيما يلى بيان كل من الصيغتين فى التعبير عن سبب النزول:

الصيغة الأولى: الصريحة: وهى التى يقول الصحابى مثلا: سبب نزول

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني (٨٩/١)شهرته: الزرقاني المحقق: فواز أحمد زمرلي، دار النشر: دار الكتاب العربي، البلد: بيروت، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م

هذه الآية كذا، فهذه العبارة صيغة صريحة فى السببية، وكذلك إذا أتى بفاء التعقيب، وقرنها بعبارة الإنزال بعد ذكر حادثة، أو سؤال كأن يقول: حدث كذا، وكذا فأنزل الله تعالى آية كذا، أو فنزلت آية كذا، أو يقول:

سئل رسول الله ﷺ عن كذا فنزلت آية كذا، فهذه الصيغة كذلك صريحة فى السببية؛ لأن قائلها أوضح فيها أن نزول الآية، أوالآيات ترتب على وقوع تلك الحادثة، أو توجيه هذا السؤال، ومعنى ذلك أن سبب النزول هو هذه الحادثة، أو ذلك السؤال.

وفى مقابل هذه الدلالة الصريحة على سببية النزول هناك من العبارات ما هو صريح فى التفسير لا يحتمل السببية بوجه، كأن يقول الصحابى مثلا: المراد من هذه الآية كذا، أو تدل هذه الآية على كذا، أو يؤخذ منها كذا.

فهذه العبارات، وأمثالها غير صريحة فى السببية.

الصيغة الثانية: غير صريحة، وهى التى تكون العبارة فيها محتملة فتصلح لأن يراد بها سبب النزول، كما تصلح أن يراد بها التفسير كأن يقول الصحابى رضي الله عنه: «نزلت هذه الآية فى كذا» لكن لا ينبغى أن يفهم احتمال هذه العبارة للأمرين معا دفعة واحدة فى الموضع الواحد بل المراد أنها إما أن يراد بها سبب النزول، أو يراد بها التفسير فتارة يراد منها السبب، وتارة يراد منها بيان ما تشتمل عليه الآية، وعندئذ يتوقف فهم المراد منها على دليل، أو قرينة توضح هذا المراد.

ونعود إلى بيان القرينة التى تحدد المراد، فإذا ذكر الصحابى فى عبارته بعد حرف الجر (فى) شخصا، أو حادثة، أوما يماثل ذلك كأن يقول: نزلت هذه الآية فى فلان، أوفى قوم مثلا، أو فى حادثة، كان المقصود بها ذكر سبب النزول.

أما إذا ذكر بعد حرف الجر معنى تشتمل عليه الآية، أوحكما شرعيا مأخوذا منها، فالمقصود بعبارته التفسير فى هذه الحالة[١].

والظاهر غلبة استعمال هذه العبارة فى المعنى الثانى المراد به التفسير، ومن أجل ذلك يقول بدر الدين الزركشى رحمه الله تعالى:

«وقد عرف من عادة الصحابة، والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه

---

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين (٣٨/١)

الآية فى كذا، فإنه يريد أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب فى نزولها»[١].

ثانياً: أثر دلالة السياق في تضعيف سبب النزول، أو تقويته، وترجيحه على غيره.

يعد السياق أهم معيار في تحديد المعنى المراد من اللفظ، وينبغي أن ينظر إليه بهذه الأهمية فيما يتعلق بالحكم على أسباب نزول القرآن.

وعلى ذلك فيعد السياق هوالمعيار في الحكم على أسباب النزول تقويةً، وضعفاً.

فإذا ثبتت صحة الراوية فلا تتعارض مع السياق بل تقويه، أوأنها وردت كشاهد على حدث مشابه، وليست هي ذاتها السبب الذي نزلت من أجله الآية، وإما أن تكون الراوية ضعيفة أصلاً، وتخالف السياق، فلا يمكن قبولها سبباً للنزول، وإن وردت في كتب أهل الحديث، والتفسير، والله أعلم.

وهذا يعد مبحث تطبيقي لما سبقه من مباحث نظرية.

أمثلة **لأثر دلالة السياق في تضعيف سبب النزول**:

*** من ذلك ما قيل في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[٢].**

قرأ نافع، ويعقوب(البصريان) (**وَلَا تَسْأَلْ**) بِفَتح التاء، وجزم اللام، وقرأ الباقون: (**وَلَا تُسْأَلُ**) بضم التاء واللام، فالحجة لمن رفع: أنه أخبر بذلك وجعل «لا» نافية بمعنى ليس، ودليله قراءة (عبد الله) [٣]و (أبيّ) [٤](ولن تسأل)والحجة لمن جزم: أنه جعله نهيا[٥]، ودليله: ما روى أن النبي ﷺ قال يوما:

---

(١) البرهان فى علوم القرآن لبدر الدين الزركشى (١/ ٥٦).

(٢) سورة البقرة: ١١٩.

(٣) عبد الله ابن مسعود.

(٤) المراد به أبي بن كعب.

(٥) الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ) (٨٧/١)، معاني القراءات للأزهري(١٧٠/١).

«ليت شعري ما فعل أبواي»؟ فأنزل الله تعالى: ﴿**وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ**﴾ وهذا الحديث مرسل، [١] وضعفه السخاوي حيث قال: "ووصله الثعلبي وغيره من رواية عطاء عنه وكلها ضعيفة، ورده جماعة من المفسرين باستحالة الشك من رسول اللهﷺ في أمر أبويه، منهم ابن عطية حيث قال: هذا خطأ ممن رواه، أو ظنه؛لأن أباه مات، وهو في بطن أمه، وقيل: هو ابن شهر، وقيل: ابن شهرين، وماتت أمه بعد ذلك"[٢]

وماورد من أَنَّ اللَّهَ أَحْيَا لَهُ أَبَوَيْهِ حَتَّى آمَنَا قول ضعيف.

وَهَذَا الْقَوْلَ الْمَرْوِيَّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، وَغَيْرِهِ فِي ذَلِكَ ضعيف لِاسْتِحَالَةِ الشَّكِّ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَمْرِ أَبَوَيْهِ، وما ورد من استغفاره لِأَبَوَيْهِ فذلك كان قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَمْرَهُمَا فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ تَبَرَّأَ مِنْهُمَا، وَأَخْبَرَ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

والمعنى: إنا لا نؤاخذك بهم، والزم دينك، أو: لَا نَسْأَلُكَ عَنْ كُفْرِ مَنْ كَفَرَ بِكَ قال تعالى﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ**﴾[٣]، وكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمصَيْطِرٍ**﴾[٤] ، وقوله تَعَالَى: ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**﴾[٥]، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

---

(١) العجاب في بيان الأسباب لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)(٣٦٨/١)، أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) (٣٩).
تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) (٤٠١/١)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ) (٢٨/٤-٢٩).

(٢) الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية لشمس محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ)(٩٦٦/٣).

(٣) سورة الرعد: ٤٠

(٤) سورة الغاشية: ٢١-٢٢

(٥) سورة ق: ٤٥

هذا على ضمّ التاء، وهو فعل ما لم يسم فاعله.

ومن فتحها جعلها فعل فاعل، و(لا) ناهية، والمعنى: لَا تَسْأَلْ عَنْ حَالِهِمْ.

وهذه الرواية لا تصلح أن تكون سبباً لنزول الآية لوجوه:

الأول: أن سياق الآيات يتحدث عن اليهود، والنصارى، وتعنتهم على الله، وأن كفار قريش يقومون بالدور ذاته (تشابهت قلوبهم)، فكان من تسلية الله لنبيه- عليه السلام- أن واجبك يا محمد تبليغ الرسالة، وأنت غير مسئول عن كفر من كفر، وعلى هذا توجه قراءة الرفع.

أما قراءة الجزم التي قرأ بها نافع، ويعقوب فيمكن توجيهها أن النبي عليه السلام نهى عن السؤال عن أحوال الكفار إن كان النهي على الحقيقة، وإما أن يقال: إن النهي ليس على حقيقته بل جاء على سبيل تعظيم ما وقع فيه أهل الكفر من العذاب كما تقول: "كيف حال فلان" إذا كان وقع فيه بليه، فيقال لك: "لا تسأل عنه" ولم ير الإمام الطبري أي دلالة لقراءة الجزم قال: والواجب أن يكون تأويل ذلك الخبر على ما مضى ذكره قبل هذه الآية، وعمن ذكر بعدها من اليهود، والنصارى، وغيرهم من أهل الكفر دون النهي عن المسألة عنهم، وأن النظم لا يساعد على هذه القراءة، ذلك أنه لو أراد النهي لوصل الآية بالفاء (فلا تسأل)، وترك الوصل بالفاء أوضح دلالة على أن الخبر (ولا تسأل) أولى من النهي، والرفع أولى من الجزم، ورد هذه القراءة الصحيحة أمر غير مستساغ خاصة، وأنها منسجمة مع نظم الآية، وأنها – كما قال العلامة أبو السعود -: "إيذان بكمال شدة عقوبة الكفار، وتهويل لها كأنها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على إجرائها على لسانه، أولا يستطيع السامع أن يسمع خبرها، وحمله على نهي النبي ﷺ عن السؤال عن حال أبويه مما لا يساعده النظم الكريم"[١].

ويرى ابن عاشور أن الآية معترضة بين حكايات أحوال المشركين، وأهل الكتاب، والقصد منها تأنيس الرسول ﷺ من أسفه على ما لقيه من أهل الكتاب مما يماثل ما لقيه من المشركين، وقد كان يود أن يؤمن به أهل الكتاب فيتأيد بهم الإسلام على المشركين فإذا هو يلقى منهم ما لقي من المشركين، أو أشد".

ثالثاً: بالإضافة إلى السياق فإن هذه الرواية التي يجعلونها سبباً لتزول الآية

---

(١)

ضعيفة واهية، ضعفها السيوطي، والألوسي.

قال السيوطي: إنه لم يرد في هذا إلا أثر معضل ضعيف الإسناد فلا يعول عليه[١]، قال الألوسي: "والذي يقطع به أن الآية في كفار أهل الكتاب كالآيات السباقة عليها، والتالية لها لا في أبويهﷺ"[٢].

بعد هذا نستطيع الجزم بأن هذه الرواية لا تصلح أن تكون سبباً لنزول الآية؛ لأن الغرض من سياق الآيات التسرية عن الرسول -عليه السلام - لا إدخال الحزن عليه بل إن الآية ليس لها نزول خاص، وهي منسجمة تماماً مع سياقها المذكور على القراءتين جميعاً، والله أعلم.

***وما قيل في سبب نزول قوله تعالى أيضاً﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾** [٣]

سبب النزول:

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ[٤]: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا غَالِبُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، سَمِعْتُ مُجَاهِدًا يَقُولُ فِي قَوْلِهِ إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الْآيَةَ. نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، تَصَّدَقَ وَهُوَ رَاكِعٌ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الْآيَةَ، نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُجَاهِدٍ لَا يُحْتَجُّ بِهِ.

وروى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَائِمًا يُصَلِّي، فَمَرَّ سَائِلٌ وَهُوَ رَاكِعٌ، فَأَعْطَاهُ خَاتَمَهُ، فَنَزَلَتْ إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الْآيَةَ، الضَّحَّاكُ لَمْ يَلْقَ ابْنَ عَبَّاسٍ. وَرَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ أيضا من طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بَيْنَ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ وَقَائِمٍ وَقَاعِدٍ، وَإِذَا مِسْكِينٌ يَسْأَلُ، فَدَخَلَ رَسُولُ

---

(١) لباب النقول(٣٨)، وانظر الدر المنثور، (٢٠٩/١)

(٢) الألوسي، روح المعاني(٣٧١/٢)

(٣) سورة المائدة: ٥٥

(٤) تفسير الطبري (٢٢٨/٤-٢٢٩)

اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَعْطَاكَ أَحَدٌ شَيْئًا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ «مَنْ؟» قَالَ: ذَلِكَ الرَّجُلُ الْقَائِمُ. قَالَ «عَلَى أَيِّ حَالٍ أَعْطَاكَهُ؟» قَالَ: وَهُوَ رَاكِعٌ قَالَ: «وَذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» قَالَ: فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ هَذَا إِسْنَادٌ لَا يُفْرَحُ بِهِ.

ثُمَّ رَوَاهُ ابْنُ مَرْدُويَهْ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَفْسِهِ، وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَأَبِي رَافِعٍ،

قال بن كثير: "وَلَيْسَ يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ لِضَعْفِ أسانيدها وجهالة رجالها"[١]

عند النظر إلى هذه الآية نجد أنها جاءت في سياق النهي عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، ابتداء من قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ﴾ وحتى الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾[٢]، وبين هذه الآيات جاء تعريف الولي الحق ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ثم وصف المؤمنين بأحسن أوصافهم أنهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ثم أراد أن يبين حالهم وسلوكهم بأنهم يفعلون ذلك وهم خاشعون، متواضعون لله، ليسوا بأهل شر، أو تكبر، أوعجرفة كما هو حال غيرهم ممن تقدم ذكرهم، فموقع ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ حال من فاعل الفعلين ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وليس للثاني منهما فحسب[٣]

فإذا كانت الآيات تنهى عن ولاية الأعداء ثم تقصر هذه الولاية على الله، ورسوله، والمؤمنين الذين عرفت حالهم، فيبعد جداً أن يكون المقصود بها إنسان بعينه، وإلا لم تحقق الغرض الذي سيقت من أجله.

---

(١) تفسير ابن كثير (١٢٥/٣).
(٢) سورة المائدة: ٥١-٥٧
(٣) التحريروالتنوير(٢٣٨/٦)

ثانياً: عندما تقترن الصلاة بالزكاة، وبخاصة في موضع الثناء على المؤمنين فإنها تنصرف إلى الزكاة المعلومة التي حددها الشارع، وأثنى على أصحابها، وفعل الإمام على هذا غير داخل فيه، وإنما هو صدقة، والثناء على أداء الواجب المفروض أولى في مثل هذا المقام.

وعليه يكون المراد بجملة (وَهُمْ رَاكِعُونَ) مصلون، لا آتون بالجزء من الصلاة المسمى بالركوع، ووجه العطف إما أن يكون المراد بالركوع، ركوع النوافل أي يقيمون الصلوات الخمس المفروضة، ويتقربون بالنوافل، وإما المراد به الدوام، والاستمرار، أي يديمون إقامة الصلاة، وعقبه بأنهم يؤتون الزكاة مبادرة بالتنويه بالزكاة كما هو دأب القرآن.

في معرض الرد على القول أن جملة (وَهُمْ رَاكِعُونَ) يمكن أن تكون حالاً من ضمير (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) وأنه لا معنى له؛ إذ لا تؤتي الزكاة في حالة الركوع، قال ابن عاشور: وركبوا هذا المعنى على خبر تعددت رواياته، وكلها ضعيفة[١].

ويستبعد أن يختص علي –كرم الله وحهه - بهذه الآية وحده لأن على من المؤمنين، وقد قال الله (وَالَّذِينَ آَمَنُوا) يذهب إلى أن هذا لجميع المؤمنين.

كما أن حمل لفظ الزكاة على التصدق بالخاتم فيه بعد؛ لأن الزكاة لا تأتي إلا بلفظها المختص بها، وهو الزكاة المفروضة، وأيضاً فإن قبله (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) ومعنى يقيمون الصلاة يأتون بها في أوقاتها بجميع حقوقها، والمراد صلاة الفرض فهومن عطف ركن على ركن.

وقوله (وَهُمْ رَاكِعُونَ) المراد به النفل، أوأنه أفرد الركوع بالذكر تشريفاً.

بعد هذا كله يتبين أن الرواية تتعارض مع الغرض الذي من أجله وردت الآية في سياقها، وعليه فإن القول: بأن للآية سبب نزول ليس عليه دليل صحيح، ولا يتفق مع السياق، والله أعلم.

***كذلك ما جاء في سبب نزول قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ**

---

(١) المصدر السابق(٦/٢٤٠)

قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [١]

سبب النزول:

١- ما ورد عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له: مالك بن الصيف[٢]يخاصم النبيﷺ فقال له النبيﷺ"أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى: أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين"، وكان حبراً سميناً؛ فغضب، وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه الذين معه: ويحك! ولا موسى؟! فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء؛ فأنزل الله: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)**﴾ [٣][ضعيف]

قال ابن كثير: " وَمَا عَظَّمُوا اللَّهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، إِذْ كَذَّبُوا رُسُلَهُ إِلَيْهِمْ.

٢- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، نَزَلَتْ فِي قُرَيْشٍ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْيَهُودِ؛ وَقِيلَ: فِي فِنْحَاصَ[٤] رَجُلٌ مِنْهُمْ، وَقِيلَ: فِي مَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ حيث قالوا﴿ **مَا أَنزلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾.

وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَالْيَهُودُ لَا يُنْكِرُونَ إِنْزَالَ الْكُتُبِ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُرَيْشٌ -وَالْعَرَبُ قَاطِبَةً -كَانُوا يُبْعِدُونَ إِرْسَالَ رَسُولٍ مِنَ الْبَشَرِ كَمَا قَالَ

---

(١) سورة الأنعام: ٩١

(٢) رئيس من رؤساء اليهود في المدينة، السيرة الحلبية(٢/٢٢٦)

(٣) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٧/ ١٧٦)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤٢) برقم (٧٥٩٧) من طريق يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد به.وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان: الأولى: الإرسال، الثانية: جعفر بن أبي المغيرة؛ ليس بالقوي في سعيد؛ كما قال ابن منده.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٤) وزاد نسبته لابن المنذر.

(٤) فنحاص بن عازوراء: رئيس من رؤساء بني قينقاع، وحبر من أحبارهم، انفرد بالعلم والسيادة بعد إسلام عبد الله بن سلام، السيرة الحلبية (٢/ ١٤٣).

[تَعَالَى] ﴿كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ [وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ]﴾ (١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولا﴾(٢)، وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ ؟ أَيْ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنْكِرِينَ لِإِنْزَالِ شَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فِي جَوَابِ سَلْبِهِمُ الْعَامِّ بِإِثْبَاتِ قَضِيَّةٍ جُزْئِيَّةٍ مُوجِبَةٍ: ﴿مَنْ أَنزلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾ يَعْنِي: التَّوْرَاةَ الَّتِي قَدْ عَلِمْتُمْ -وَكُلُّ أَحَدٍ -أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَهَا عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ، أَيْ: لِيُسْتَضَاءَ بِهَا فِي كَشْفِ الْمُشْكِلَاتِ، وَيُهْتَدَى بِهَا مِنْ ظُلَمِ الشُّبُهَاتِ"(٣)

والحق أن سياق آيات الأنعام من أولها وحتى هذه الآية، وما بعدها من الآيات – إلا قوله ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾(٤) يتحدث عن كفار قريش، ولا يشير من قريب أو بعيد إلى أهل الكتاب لكن وهمًا سرى إلى المفسرين في تفسيرهم للآية؛ إذ جعلوا قوله (تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا) هي من صفات اليهود، واستندوا إلى هذه الرواية التي لا تنسجم مع سياق الآيات.

على أن وجود (واو) العطف في صدر هذه الجملة يدل على أنها نزلت متناسقة مع الجمل التي قبلها، وأنها، وإياها واردتان في غرض واحد هو إبطال مزاعم المشركين، وعليه تكون الآية معطوفة على جملة (فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ)(٥)، والضمير في قوله (قدروا) عائد على ما عاد إليه اسم الإشارة في

---

(١) سورة يونس: ٢

(٢) سورة الإسراء: ٩٤-٩٥.

(٣) تفسير ابن كثير(٣٠١/٣).

(٤) سورة الأنعام: ٢٠

(٥) سورة الأنعام: جزء من الآية ٨٩

قوله: (هؤلاء) ذلك أن المشركين لما استشعروا نهوض الحجة عليهم في نزول القرآن بأنه ليس بدعاً مما نزل على الرسل، ودحض قولهم (لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا) [١]، توغلوا في المكابرة، والجحود فقالوا ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ وتجاهلوا ما كانوا يقولونه عن إبراهيم عليه السلام، وما يعلمونه من رسالة موسى عليه السلام وكتابه"

بالإضافة إلى هذا فإن إنكار أن يكون الله تعالى أنزل على بشر من شيء ليس مما تدين به اليهود بل المعروف من دين اليهود الإقرار بصحف إبراهيم، وموسى، وزبور داود.

وعقب الطبري على هذا الرأي بقوله: "وإذا لم يكن بما روي من الخبر بأن قائل ذلك كان رجلاً من اليهود خبر صحيح متصل السند، ولا كان عليه من أهل التأويل إجماع، وكان الخبر من أول السورة، ومبتدئها إلى هذا الموضع خبراً عن المشركين من عبدة الأوثان، وكان قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ موصولاً بذلك غير مفصول منه لم يجز لنا أن ندعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عاقل" [٢]، وإلى هذا ذهب العلامة ابن كثير[٣].

أما قوله ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا﴾ الآية، قرأ «القراء العشرة» عدا «ابن كثير، وأبا عمرو» بتاء الخطاب في الأفعال الثلاثة: «تجعلونه، تبدونها، وتخفون»[٤].

وذلك على الالتفات من الغيبة الى الخطاب حيث أن صدر الآية، وهو قوله تعالى: (وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) الخ يقتضي الغيبة، ولكنه التفت الى الخطاب اهتماما بشأن المخاطبين[٥].

---

(١) سورة الفرقان: ٧

(٢) تفسير الطبري (٣٩٤/٩)

(٣) تفسير ابن كثير (٣٠٠/٣)

(٤) النشر في القراءات العشر(٥٦/٣)

(٥) القراءات وأثرها في علوم العربية لمحمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ) (١٠٠/٢).

وكذلك تعريضاً باليهود، وإسماعاً لهم، وإن لم يكونوا حاضرين من باب إياك أعني، وأسمعي يا جارة، وإما أن يكون خطاباً للمشركين، ومعناه أنهم سألوا اليهود عن نبوة محمد ﷺ فقرؤوا لهم ما في التوراة من التمسك بالسبت أي دين اليهود، وكتموا ذكر الرسول ﷺ الذي يأتي بعد، فأسند الإخفاء، والإبداء إلى المشركين مجازاً؛ لأنهم كانوا مظهر من مظاهر ذلك الإخفاء، والإبداء[١].

ويرى صاحب المنار أن سياق الآيات في المشركين خلافاً لمن يرى غير ذلك، وأول قراءة الياء في الأفعال الثلاثة أن الله أنزل التوراة هدى ونوراً للناس حتى اتبع اليهود الأهواء فصاروا يبدون ما يتفق مع أهوائهم، ويخفون الكثير مع أحكامها، قال: وكانت الآية تقرأ هكذا في مكة، وكذا بالمدينة، إلى أن أخفى اليهود الرجم، والبشارة بالنبي عليه السلام، فنزلت القراءة بالتاء مع عدم نسخ الأولى"[٢]

وبهذا يتبين أنه لا إشكال على قراءة الياء، أما القراءة بالتاء فيمكن توجيهها على الالتفات في الخطاب، وبهذا ينجلي الإشكال الذي توهمه بعض المفسرين من أن الآية نزلت في اليهود، والله أعلم.

***كذلك ما جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(٥)﴾**[٣].

اختلف المفسرين في سبب نزول هذه الآية على خمسة أقوال:

١- ما رواه البخاري بسنده عن ابْنِ جُرَيْجٍ، و مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَرَأَ: أَلاَ إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ قُلْتُ: يَا أَبَا العَبَّاسِ مَا تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ يُجَامِعُ امْرَأَتَهُ فَيَسْتَحِي أَوْ يَتَخَلَّى فَيَسْتَحِي» فَنَزَلَتْ[٤].

و قد قال ابن عاشور عن هذه الرواية[٥]" وَوَقَعَ فِي «صَحِيحِ

---

(١) التحرير والتنوير(٣٧١/٧)
(٢) تفسير المنار (٥١٢/٧)
(٣) سورة هود: ٥
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه باب (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر)برقم (٤٦٨٢)(٧٣/٦)
(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور(المتوفى: ١٣٩٣هـ)(٣٢٣/١٢)

الْبُخَارِيِّ» أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَخْفُونَ أَنْ يَتَخَلَّوْا فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ وَأَنْ يُجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وَهَذَا التَّفْسِيرُ لَا يُنَاسِبُ مَوْقِعَ الْآيَةِ وَلَا اتِّسَاقَ الضَّمَائِرِ. فَلَعَلَّ مُرَادَ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْآيَةَ تَنْطَبِقُ عَلَى صَنِيعِ هَؤُلَاءِ وَلَيْسَ فِعْلُهُمْ هُوَ سَبَبُ نُزُولِهَا."

٢- أَنَّهَا نزلت فِي الْأَخْنَس بن شريق كَانَ يُجَالس رَسُول الله ﷺ وَيحلف أَنه يُحِبهُ، ويضمر خلاف مَا يظْهر لَهُ[١].

٣- أَنَّهَا نزلت فِي بعض الْمُنَافِقين، كَانَ إِذا مر رَسُول اللهﷺ ثنى صَدره، وظهره، وطأطأ رَأسه، وغطى وَجهه كَيْلا يرَاهُ رَسُول الله ﷺ[٢].

٤- أَن طَائِفَة من الْمُشْركين قَالُوا: إِذا غلقنا أبوابنا، وأرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وثنينا صدورنا على عَدَاوَة مُحَمَّد كَيفَ يعلم بِنَا، فَأخْبر الله تَعَالَى عَمَّا كتموه[٣].

٥- أَنَّهَا نزلت فِي قوم كَانُوا لشدَّة عداوتهم لرَسُول الله ﷺ إِذا سمعُوا مِنْهُ الْقُرْآن حنوا صُدُورهمْ، ونكسوا رؤوسهم، وتغشوا ثِيَابهمْ ليبعد عَنْهُم صَوت رَسُول الله ﷺ، وَلَا يدْخل أسماعهم شَيْء من الْقُرْآن[٤].

وَمعنى يثنون: يعطفون، ويطوون، وكانوا يثنونها حياءًمن الله، أوأَنهم كَانُوا يثنونها على عَدَاوَة رَسُول الله ﷺ، وقيل على الْكفْر، وقيل لِئَلَّا ليستمعوا كتاب الله، وقيل إِذا ناجى بَعضهم بَعْضًا فِي أَمر رَسُول الله ﷺ.

قال بن حجر: "وَمِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَنَى صَدْرَهُ وَطَأْطَأَ رَأْسَهُ وَتَغَشَّى بِثَوْبِهِ لِئَلَّا يَرَاهُ

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)(٤٠٥/٢)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (المتوفى: ٨٠٤هـ)(٤٥٦/٢٢) ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) (١١٤/١٨)

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (المتوفى: ٨٠٤هـ) (٤٥٦/٢٢)، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٣٤٩/٨).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي(٤٠٦/٢)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (المتوفى: ٨٠٤هـ) (٤٥٦/٢٢)

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي(المتوفى: ٥٩٧هـ) (٤٠٦/٢).

أَسْنَدَهُ الطَّبَرِيُّ مِنْ طُرُقٍ عَنْهُ، وَهُوَ بعيد فَإِن الْآيَة مَكِّيَّة وَسَيَأْتِي عَن بن عَبَّاسٍ مَا يُخَالِفُ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ لَكِنَّ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا مُمْكِنٌ[1].

وعلى القول بإمكانية الجمع بينهما(نزولها في المشركين، والمنافقين) فيكون كما ذكره الإمام الرازي حيث قال: " رُوِيَ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا: إِذَا أَغْلَقْنَا أَبْوَابَنَا وَأَرْسَلْنَا سُتُورَنَا، وَاسْتَغْشَيْنَا ثِيَابَنَا وَثَنَيْنَا صُدُورَنَا عَلَى عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ، فَكَيْفَ يَعْلَمُ بِنَا؟ وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ: كَانَ قَوْلُهُ: يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ كِنَايَةً عَنِ النِّفَاقِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: يُضْمِرُونَ خِلَافَ مَا يُظْهِرُونَ لِيَسْتَخْفُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ نَبَّهَ بِقَوْلِهِ: ﴿ **أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ يَسْتَخْفُونَ مِنْهُ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ**﴾." [2].

قال العلامة الألوسي: "وفي المراد منه[3] احتمالات منها أن الثني كناية أو مجاز عن الإعراض عن الحق لأن من أقبل على شيء واجهه بصدره ومن أعرض صرفه عنه أي أنهم يثنون صدورهم عن الحق ويتحرفون عنه والمراد استمرارهم على ما كانوا عليه من التولي والإعراض المشار إليه بقوله سبحانه فإن تولوا الخ ومنها أنه مجاز عن الإخفاء لأن ما يجعل داخل الصدر فهو خفي أي أنهم يضمرون الكفر والتولي عن الحق وعداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومنها أنه باق على حقيقته والمعنى أنهم إذا رأوا النبي عليه الصلاة و السلام فعلوا ذلك، وولوه ظهورهم، والظاهر أن اللام متعلقة - بيثنون - على سائر الاحتمالات وكأن بعضهم رأى عدم صحة التعلق على الاحتمال الأول لما أن التولي عن الحق لا يصلح تعليله بالاستخفاء لعدم السببية فقدر لذلك متعلقا فعل الإرادة على أنه حال أو معطوف على ما قبله أي ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله عليه الصلاة و السلام، والمؤمنين على أغراضهم، ، وعطف صدورهم على الكفر، والتولي، وعداوة النبي ﷺ، وعدم إظهارهم ذلك يجوز أن يكون للاستخفاء من الله تعالى لجهلهم بما لا يجوز على الله تعالى، وأما على الاحتمال الثالث فالظاهر أنه لا بد من التقدير إلا أن يعاد الضمير منه إلى

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٣٤٩/٨).

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٣٢٨/١٧)

(٣) أي من قوله يثنون.

الرسولﷺ وهو الذي يقتضيه سبب النزول على ما ذكره أبو حيان من أن الآية نزلت في بعض الكفار الذين كانوا إذا لقيهم النبي ﷺ تطامنوا، وثنوا صدورهم كالمستتر، وردوا إليه ظهورهم، وغشوا وجوههم بثيابهم تباعدا منه، وكراهة للقائه عليه الصلاة و السلام، وهم يظنون أنه يخفى عليه ﷺ لكن ظاهر قوله تعالى: (يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) يقتضي عود الضمير إليه تعالى واختار بعض المحققين الاحتمال الثاني من الاحتمالات الثلاث وأمر التعليل، والضمير عليه ظاهر، وأيده بما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله ﷺ المحبة، ويضمر في قلبه ما يضادها لكنه ليس بمجمع عليه[١].

والقول بأنها نزلت في المنافقين بعيد؛ لأن الآية مكية والنفاق إنما حدث بالمدينة

وذهب بعض العلماء إلى القول بأنه ليس المراد بالنفاق ظاهره بل ما كان يصدر من بعض المشركين الذين كان لهم مداراة تشبه النفاق.

ورواية البخاري تدل على أن الظاهر من حال المسلم إذا استحيا من ربه سبحانه فلم يكشف عورته مثلا في خلوة كان مقصوده مجرد إظهار الأدب مع الله تعالى مع علمه بأنه جل شأنه لا يحجب بصره حاجب، ولا يمنع علمه شيء، ومثل هذا الحياء أمر لا يكاد يذمه أحد بل في الآثار ما هو صريح في الأمر به، وهو شعار كثير من كبار الأمة، والقول بأن استحياء أولئك المسلمين كان مقرونا بالجهل بصفاته عزوجل فظنوا أن الثني يحجب عن الله سبحانه فرد عليهم بما رد لا أظنك تقبله، وبالجملة الأمر على هذه الروايات لا يخلو عن إشكال، ولا يكاد يندفع بسلامة الأمر، والذي يقتضيه السياق، ويستدعيه ربط الآيات كون الآية في المشركين حسبما تقدم فتدبر[٢]

أمثلة لتقوية السياق لسبب النزول، وترجيحه على غيره:

***من ذلك ما قيل في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**[٣]

---

(١) روح المعاني للألوسي (٢٠٩/١١).

(٢) المصدر السابق (٢١٠/١١)باختصار.

(٣) سورة البقرة: ١٩٥

ورد في سبب نزول هذه الآية عدة روايات:

١- رواية البخاري، ما رواه البخاري بسنده عَنْ حُذَيْفَةَ، ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قَالَ: «نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ»[١]

قال بن حجر بعد ذكره لهذه الرواية: "وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ حُذَيْفَةُ جَاءَ مُفَسَّرًا فِي حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: كُنَّا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فَخَرَجَ صَفٌّ عَظِيمٌ مِنَ الرُّومِ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلًا فَصَاحَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ.

فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُؤَوِّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ إِنَّا لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ دِينَهُ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ قُلْنَا بَيْنَنَا سِرًّا إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ فَلَوْ أَنَّا أَقَمْنَا فِيهَا، وَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةَ الَّتِي أردناها. "[٢]

٢- ما جاء من طريق الضَّحَّاكِ بْنِ أَبِي جُبَيْرَةَ كَانَ الْأَنْصَارُ يَتَصَدَّقُونَ فَأَصَابَتْهُمْ سنة فأمسكوا فَنزلت[٣].

٣- روى بن جرير وبن الْمُنْذِرِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ مُدْرِكِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ إِنِّي لَعِنْدَ عُمَرَ فَقُلْتُ إِنَّ لِي جَارًا رَمَى بِنَفْسِهِ فِي الْحَرْبِ فَقُتِلَ فَقَالَ نَاسٌ أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ فَقَالَ عُمَرُ كَذَبُوا لَكِنَّهُ اشْتَرَى الْآخِرَةَ بِالدُّنْيَا[٤].

٤- جَاءَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ فِي الْآيَةِ تَأْوِيلٌ آخَرُ روي عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه باب (وأنفقوا في سبيل الله ، ...)برقم(٤٥١٦)(٢٧/٦)، (في النفقة) أي في ترك النفقة في سبيل الله تعالى والمعنى لا تتركوا الإنفاق في سبيل الخير والجهاد فيؤدي ذلك بكم إلى الهلاك، وذكره بن حجر في فتح الباري (١٨٥/٨)

(٢) فتح الباري (١٨٥/٨)

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد(٣١٧/٦)وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط وزاد: {وأحسنوا إن الله يحب المحسنين} [البقرة: ١٩٥]. ورجالهما رجال الصحيح، وأخرجه بن حبان في صحيحه (١٦/١٣)، وقال: إسناده صحيح، والطبراني في المعجم الكبير(٣٩٠/٢٢)، وبن حجر في فتح الباري(١٨٥/٨)

(٤) ذكره بن حجر في فتح الباري (١٨٥/٨)باب قوله (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم غلى التهلكة)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٢٥٠/٨)

قُلْتُ لِلْبَرَاءِ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ هُوَ الرَّجُلُ يَحْمِلُ عَلَى الْكَتِيبَةِ فِيهَا أَلْفٌ قَالَ لَا وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يُذْنِبُ فَيُلْقِي بِيَدِهِ فَيَقُولُ لَا تَوْبَةَ لِي[١].

قال بن حجر: "وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ لِتَصْدِيرِ الْآيَةِ بِذِكْرِ النَّفَقَةِ فَهُوَ الْمُعْتَمَدُ فِي نُزُولِهَا، وَأَمَّا قَصْرُهَا عَلَيْهِ فَفِيهِ نَظَرٌ ؛لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ، وقد قيل لِلْبَرَاءِ: الرَّجُلُ يَحْمِلُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ أَهُوَ مِمَّنْ أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ ؟قَالَ: "لَا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا فَقَالَ(**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفسك**) [٢]فَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي النَّفَقَةِ.

وَأَمَّا مَسْأَلَةُ حَمْلِ الْوَاحِدِ عَلَى الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنَ الْعَدُوِّ فَصَرَّحَ الْجُمْهُورُ بِأَنَّهُ إِنْ كَانَ لِفَرْطِ شَجَاعَتِهِ، وَظَنِّهِ أَنَّهُ يُرْهِبُ الْعَدُوَّ بِذَلِكَ أَوْ يُجَرِّئُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ[٣]

وَقَدْ قِيلَ فِي تَفْسِيرِ ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أَقْوَالٌ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ أَنْفِقُوا أَمْرٌ بِالنَّفَقَةِ عَلَى الْعِيَالِ، والتهلكة: الْإِسْرَافُ فِيهَا أَوِ الْبُخْلُ الشَّدِيدُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ حُذَيْفَةَ، وَيُبْعِدُهُ قَوْلُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَّ إِطْلَاقَ التَّهْلُكَةِ عَلَى السَّرَفِ بَعِيدٌ وَعَلَى الْبُخْلِ أَبْعَدُ.

الثَّانِي: أَنَّهَا النَّفَقَةُ عَلَى الْفُقَرَاءِ أَيِ الصَّدَقَةُ، والتهلكة الْإِمْسَاك، وببعده عَدَمُ مُنَاسَبَةِ الْعَطْفِ، وَإِطْلَاقُ التَّهْلُكَةِ عَلَى الْإِمْسَاكِ.

الثَّالِثُ: الْإِنْفَاقُ فِي الْجِهَادِ، وَالْإِلْقَاءُ إِلَى التَّهْلُكَةِ الْخُرُوجُ بِغَيْرِ زَادٍ.

الرَّابِعُ: الْإِلْقَاءُ بِالْيَدِ إِلَى التَّهْلُكَةِ: الِاسْتِسْلَامُ فِي الْحَرْبِ أَيْ لَا تَسْتَسْلِمُوا لِلْأَسْرِ.

الْخَامِسُ: أَنَّهُ الِاشْتِغَالُ عَنِ الْجِهَادِ، وَعَنِ الْإِنْفَاقِ فِيهِ بِإِصْلَاحِ أَمْوَالِهِمْ.

قال الطاهر بن عاشور: "وَالْآيَةُ تَتَحَمَّلُ جَمِيعَ الْمَعَانِي الْمَقْبُولَةِ، وَوُقُوعُ فِعْلِ تُلْقُوا فِي سِيَاقِ النَّهْيِ يَقْتَضِي عُمُومَ كُلِّ إِلْقَاءٍ بِالْيَدِ لِلتَّهْلُكَةِ أَيْ كُلِّ تَسَبُّبٍ فِي الْهَلَاكِ عَنْ عَمْدٍ فَيَكُونُ مَنْهِيًّا عَنْهُ مُحَرَّمًا مَا لَمْ يُوجَدْ مُقْتَضٍ لِإِزَالَةِ ذَلِكَ التَّحْرِيمِ، وَهُوَ مَا يَكُونُ

---

(١) ذكره البيهقي في شعب الإيمان(باب معالجة كل ذنب بالتوبة) برقم(٦٦٩٢)(٣٠٥/٩)، وابن حجر في فتح الباري(باب وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)

(٢) سورة النساء: ٨٤

(٣) فتح الباري(١٨٥/٨)باختصار

حِفْظُـهُ مُقَدَّمًا عَلَى حِفْظِ النَّفْسِ مَعَ تَحَقُّقِ حُصُولِ حِفْظِـهِ بِسَبَبِ الْإِلْقَاءِ بِـالنَّفْسِ إِلَـى الْهَلَاكِ أَوْ حِفْظِ بَعْضِـهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ، فَالتَّفْرِيطُ فِـي الِاسْـتِعْدَادِ لِلْجِهَـادِ حَـرَامٌ لَا مَحَالَـةَ لِأَنَّـهُ إِلْقَاءٌ بِالْيَدِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَإِلْقَاءٌ بِالْأُمَّةِ، وَالدِّينِ إِلَيْهَا بِإِتْلَافِ نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مِثْلِ هَذَا الْخَبَرِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِـي أَيُّـوبَ، وَهُوَ اقْتِحَامُ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ عَلَى صَفِّ الْعَدُوِّ فَقَالَ جمع من العلماء: لَا بَـأْسَ بِذَلِكَ إِذَا كَانَ فِيهِ قُوَّةٌ، وَكَانَ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ لِلَّهِ تَعَالَى، وَطَمَعٍ فِي نَجَاةٍ أَوْ فِـي نِكَايَـةِ الْعَدُوِّ أَوْ قَصْـدِ تَجْرِئَـةِ الْمُسْـلِمِينَ عَلَـيْهِمْ، وَقَدْ وَقَـعَ ذَلِـكَ مِـنْ بَعْـضِ الْمُسْـلِمِينَ يَـوْمَ أحـد بمرأى النَّبِيﷺ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ كَانَ مِنَ الْإِلْقَاءِ إِلَى التَّهْلُكَةِ"[١].

***من ذلك ما قيل في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِـهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾** [٢]

سبب النزول:

١- **الروايـة الأولـى**: أخـرج ابـن أبـي حـاتم والطبرانـي عـن أبـي أيـوب الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبيﷺ فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام قال: وما دينه؟ قال: يصلي، ويوحد لله.

قال استوهب منه دينه، فإن أبى فابتعه منه، فطلب الرجل ذلك منه فأبى عليه فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحاً على دينه فنزلت **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾**[٣].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور(٢١٣/٢)بتصرف.

(٢) سورة النساء جزء من الآية ٤٨

(٣) ذكره السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول (٥٩)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٤/ ١٧٧، ١٧٨ رقم ٤٠٦٣)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٣/ ٩٧١)(رقم ٥٤٢٤) من ثلاث طرق عن عيسى بن يونس عن واصل بن السائب عن أبي سورة ابن أخي أبي أيوب الأنصاري عنه به.

وسنده ضعيف جداً؛ فيه علتان:

الأولى: أبو سورة، قال البخاري: "منكر الحديث، يروي عن أبي أيوب مناكير لا يتابع عليها"، وضعفه ابن معين جداً، وضعفه الترمذي وابن حجر، وقال الدارقطني: "مجهول"، وقال الذهبي: "لا يدرى من هو".

٢- **الرواية الثانية:** حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَبَّارُ، ثنا إِسْحَاقُ بْنُ الْأَرْكُونِ، ثنا أَبْيَنُ بْنُ سُفْيَانَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى وَحْشِيٍّ[١] قَاتِلِ حَمْزَةَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: يَا مُحَمَّدُ، كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَى دِينِكَ، وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ مَنْ قَتَلَ، أَوْ أَشْرَكَ، أَوْ زَنَا يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا، وَأَنَا قَدْ صَنَعْتُ ذَلِكَ؟ فَهَلْ تَجِدُ لِي مِنْ رُخْصَةٍ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[٢]، فَقَالَ وَحْشِيٌّ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا شَرْطٌ شَدِيدٌ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، فَلَعَلِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى هَذَا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[٣] ، فَقَالَ وَحْشِيٌّ: يَا مُحَمَّدُ أَرَى بَعْدَ مشيئةٍ فَلَا أَدْرِي يُغْفَرُ لِي أَمْ لَا فَهَلْ غَيْرُ هَذَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**قل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[٤]، قَالَ وَحْشِيٌّ: هَذَا، فَجَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا أَصَبْنَا مَا أَصَابَ وَحْشِيٌّ، قَالَ: «هِيَ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً»[٥] فبعث بها

الثانية: واصل بن السائب، قال البخاري، وأبو حاتم: "منكر الحديث"، وقال النسائي: "متروك"، وضعفه الدارقطني وأبو زُرعة وابن حجر وغيرهم، وضعفه ابن حبان وأغلظ فيه.

(١) وحشي بن حرب من سودان مكة، مولى لطعيمة بن عدي، ويقال: هو مولى لجبير ابن مطعم بن عدي، ويكنى أبا دسمة، وهو الذي قتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وكان يومئذ كافراً، أسلم بعد ذلك، وشهد اليمامة، ورمي مسيلمة بحربته التي قتل بها حمزة، وزعم أنه أصابه، الاستيعاب لابن عبد البر(٤/ ١٥٦٤).

(٢) سورة الفرقان: ٧٠

(٣) سورة النساء جزء من الآية٤٨

(٤) سورة الزمر: ٥٣

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(١٩٧/١١) برقم (١١٤٨٠) من طريق أبين بن سفيان عن عطاء عنه به، قال الهيثمي في"المجمع" (٧/ ١٠١)، " وفيه أبين بن سفيان ضعفه الذهبي"، قال الدارقطني عنه: "ضعيف، له مناكير"، وضعفه الذهبي في "الميزان" (١/ ٧٨).

إليهم فلما قرؤوها دخل هو، وأصحابه في الإسلام، ورجعوا إلى، وقد ورد أن النبي ﷺ قال لوحشي: "أخبرني كيف قتلت حمزة" فلما أخبره قال: "ويحك غيب شخصك عني" فلحق وحشي بعد ذلك بالشام، وكان بها إلى أن مات"[١]

نسبه البغوي للكلبي، والكلبي اسمه محمد بن السائب كذاب متروك، والباطل في حديثه هذا ذكر نزول هذه الآية فيه فإن سورة النساء نزلت قبل إسلام وحشي بسنوات، وخبر إسلام وحشي ورد بغير هذا السياق، [٢].

ولمناقشة هذين السببين نقول ما يلي:

أولاً: في سورة النساء آيتان متشابهتان في اللفظ مع اختلاف في الفاصلة هذه الأولى منهما، والثانية: هي قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [٣].

أما الأولى: فسياقها في أهل الكتاب، والآيات التي قبلها هي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

أخرجه الطبراني في "الكبير" (١١/ ١٥٧، ١٥٨ رقم ١١٤٨٠).و فيه أبين بن سفيان؛ قال البخاري: "لا يكتب حديثه"، وقال الدارقطني: "ضعيف له مناكير"، واتهمه ابن حبان، وضعفه ابن عدي والذهبي وغيرهما، ينظر فتح الباري (٨/٥٥)وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٠١): رواه الطبراني في "الأوسط"؛ وفيه أبين بن سفيان، ضعفه الذهبي"، وأخرجه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٢٧) من طريق آخر فيه مجاهيل.

(١) معالم التنزيل للبغوي(٢ /٢٣٢) مفاتيح الغيب للرازي(١٠١/١٠).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) (٦٤٢/١).

(٣) سورة النساء: ١١٦

آَمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (١).

واستمر الحديث عن أهل الكتاب في الآيات التي بعدها قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩) انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا (٥٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا سَبِيلًا﴾ (٢).

فالغرض الذي من أجله سيقت الآيات كما هو ظاهر هو مناقشة أهل الكتاب عامة، واليهود خاصة في كفرهم بآيات الله، وتحريفهم لكتابه، وطمعهم بعد ذلك في المغفرة ذلك بزعمهم أنهم أبناء الله، وأحباؤه فالقرآن يدعوهم إلى الإيمان بالحق بالله، وبرسله، وآخرهم النبي محمد ﷺ الذي جاء مصدقاً لما معهم من الكتاب، وهذا الإيمان هو معيار قبول العمل، ومعيار قبول التوبة، وحصول المغفرة أما وهم على هذا الحال من الكفر بالله، وبرسله، وتحريفهم لآيات الله، فلا مطمع، والحال هذه في المغفرة.

قال أبو السعود: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾(٣) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد، وتأكيد وجوب الامتثال بالأمر بالإيمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فإنهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف، ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾(٤)، أي على التحريف ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾(٥)، والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاماً أولياً فإن الشرع قد نص على إشراك أهل الكتاب قاطبة، وقضى بخلود أصناف الكفرة في النار، ونزوله في حق اليهود هو

---

(١) سورة النساء: ٤٤-٤٧

(٢) سورة النساء: ٤٩-٥١

(٣) سورة النساء جزء من الآية ١١٦

(٤) سورة الأعراف جزء من الآية١٦٩

(٥) سورة الأعراف جزء من الآية١٦٩

الأنسب بسباق النظم الكريم، وسياقه... وقال في تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر، والطغيان، والمراد بهم اليهود الذين يقولون: **نحن أبناء الله، وأحباؤه.."** [١]

ولما كانوا مع ارتكابهم العظائم يقولون: سيغفر لنا، وكان امتثالهم لتحريف أحبارهم، ورهبانهم شركاً بالله – كما قال سبحانه وتعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [٢]قال معللاً لتحقيق وعيدهم معلماً أن ما أشير إليه من تحريفهم أداهم إلى الشرك قال تعالى: (**إن الله لا يغفر إن يشرك به..**) [٣]

ثانياً: أن ظاهر الرواية المذكورة ظاهرها التشجيع على ارتكاب الكبائر، والفحشاء إذ كيف يمكن لمثل هذا الرجل أن يمارس القبيح من المعاصي، (لا ينتهي عن الحرام) كما هو تعبير الرواية، ثم تأتي الآيات تؤيده على فعله، وتقول له: افعل ما شئت منها فإن الله يغفر ما دون الشرك، فهذا يتعارض مع غرض القرآن الكريم من إصلاح حال العباد، وتربيتهم على التقوى، والفضيلة.

ثالثاً: الإيمان الحق الصادق يمنع صاحبه من ارتكاب الحرام نعم قد يقع المؤمن في المعصية لكنه ما يلبث أن يتوب، ويستغفر، ولا يصرعليها، وهذا (لا ينتهي عن الحرام)، فماذا بقى له من إيمان؟ !

رابعاً: عجيب أن يأمر النبي ﷺ من جاءه (أن يستوهب منه دينه)، فهل هذا يمكن أن يكون معياراً للمغفرة؟ !

وما ذكرته عن السياق يمكن أن يقال عن الرواية الثانية بالإضافة إلى استهجان هذه الاشتراطات، والمراجعات، وكأن هذا يمن على الله ورسوله بقبوله الدخول في الدين، وقد أنكر الله ذلك على الأعراب فقال (**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) [٤].

---

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود(٢/ ١٨٧)
(٢) سورة التوبةجزء من الآية٣١
(٣) سورة النساء جزء من الآية١١
(٤) سورة الحجرات: ١٧

قال الرازي: "وطعن بعض العلماء في هذه الرواية وقال: إن من يريد الإيمان لا يجوز منه المراجعة على هذا الحد؛ ولأن قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[١] لو كان على إطلاقه لكان ذلك إغراء لهم بالثبات على ما هم عليه"

وربما راجعواالنبي ﷺ لأَنَّهُمُ اسْتَعْظَمُوا قَتْلَ حَمْزَةَ، وَإِيذَاءَ الرَّسُولِ إِلَى ذَلِكَ الْحَدِّ، فَوَقَعَتِ الشُّبْهَةُ فِي قُلُوبِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ هَلْ يُغْفَرُ لَهُمْ أَمْ لَا فَلِهَذَا الْمَعْنَى حَصَلَتِ الْمُرَاجَعَةُ[٢]

على أن ورودها في أهل الكتاب لا يعني أنها لا تشمل غيرهم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وعلى هذا يمكن أن يقال: إن الآية تشمل من فعل القبائح، والآثام العظيمة في جاهليته، وخشي أن لا تقبل له توبة فالآية تشير إلى أن الإيمان يجب ما قبله.

أما الآية الأخرى فسياقها في المنافقين، وقبلها قوله تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [٣].

وقد وردت الروايات في سبب نزول الأولى، ولم ترد في الثانية، وعلى هذا يمكن أن يقال عنها ما قيل في الآية التي قبلها.

***ومن ذلك أيضاً ما قيل في سبب نزول قوله تعالى:** ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [٤]

---

(١) سورة الزمر جزء من الآية٥٣

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) (٩٩/١٠).

(٣) سورة النساء: ١١٤ -١١٦.

(٤) سورة النساء: ١٢٨

سبب النزول:

١ - أخرج البخاري بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - (**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا**) قالت: الرجل تكون عنده المرأة، ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها، فتقول: أجعلك من شأني في حِلٍّ فنزلت هذه الآية في ذلك. (١)

٢ - أخرج أبو داود عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: يا ابن أُختي كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان كل يوم يطوف علينا جميعًا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت، وفَرِقت أن يفارقها رسول الله ﷺ يا رسول الله يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها.

قالت: نقول في ذلك أنزل الله تعالى، وفي أشباهها أراه قال: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا**﴾ (٢).

٣ - وأخرج الترمذي عن ابن عبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: خشيت سودة أن يطلقها رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقالت لا تطلقني، وأمسكني، واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز(٣).

مناقشة أسباب النزول:

أولاً: وردت هذه الآية في سياق أن كل إنسان محاسب على عمله خيراً كان أو شراً، ودخل في هذا حكم التزوج باليتامى، ثم تلاها الحديث عن نشوز الزوج، وعلى هذا فسياقها ليس فيه إشارة إلى النبي عليه السلام.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم(٢٤٥٠)٠(١٢٠/٣)باب إذا حلله من ظلمه فلا رجوع فيه، و في باب(وإن امراة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضاً)برقم(٤٦٠١)(٤٩/٦)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، باب (في القسم بين النساء) برقم (٢١٣٥)(٢٤٢/٢)، قال الألباني: حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه باب (في سورة النساء) برقم(٣٠٤٠)(٩٩/٥) صححه الألباني، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وثانياً: فسر الإمام الطبري النشوز في الآية" بالاستعلاء بنفسه عنها إلى غيرها أثره عليها، وارتفاعاً بها عنها، إما لبغضة، وإما لكراهة منه بعض أشياء بها، إما دمامتها، وإما سنها، وكبرها، أو غير ذلك من أمورها"[١]

والإعراض: الانصراف عنها بوجهه، أو ببعض منافعه التي كانت لها منه. وكل هذا يجل عنه النبي ﷺ، وسيرته عليه السلام خير شاهد على ذلك، فقد تزوج خديجة على كبر، ولم يكره منها كبر سن بل كان أشد وفاءاً لها بعد وفاتها، فهل يمكن أن يحدث هذا مع غيرها، وأخلاق المؤمن أجل من أن يستمتع بالمرأة في شبابها ثم يتركها في كبرها، وعهد الزوجية في الإسلام أوثق من أن يتعرض للانحلال بهذه الصورة، نعم قد يرغب الإنسان في امرأة أخرى غير التي عنده خاصة إذا كبر سنها، ولكنه يبقي على وفائه للأولى مؤدياً لحقها، وإن مالت نفسه للثانية في المعاشرة الزوجية، وهذا لا يسمى نشوزاً.

ولا مانع من اجتماع هذه الروايات في سبب النزول، ولكن أقواها وأصحها رواية الإمام البخاري لصحة السند، وموافقته للفظ الآية، والتصريح بالنزول، وموافته للسياق؛إذ ليس فيها ما يتعارض مع السياق، ولا مع شيء من أصول الدين، والأخلاق.

ومن هذه الأمثلة السابقة تبين أن لقرينة السياق أثراً كبيراً في تقرية سبب أو تضعيفه فهي كالمعيار الحاكم على سبب النزول.

---

(١) تفسير الطبري (٥٤٨/٧)

الخاتمة

وتشتمل على:

أولاً: أهم النتائج.

* إن تدبر معاني النصوص الشرعية، وإدراك مقاصدها، ودلالاتها، وفهم أحكامها، ومداركها، والاجتهاد في وسائل تنزيلها على الواقع، وتقويم الواقع بها أمر مطلوب، وواجب على المكلف بحسب الموقع، والكسب العلمي، والمعرفي في كل عصر، وذلك وصولا إلى إيجاد رؤية إسلامية لمستجدات الحياة، وإدراك المفاتيح التي تحل مشكلات العصر، وقد نص علماء الشريعة من السلف، والخلف على القواعد، والضوابط الواجب اعتبارها في فهم خطاب الشارع أهمها، وأجمعها لها دلالة السياق.
* أهمية السياق، ودوره العظيم في الكشف عن معاني القرآن الكريم، وتفسيره.
* من أكثر مباحث علوم القرآن فائدة، وأعظمها نفعاً أسباب النزول؛لأنها تشتمل على فوائد جمة، منها: "معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى؛إذ معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، ومنها دفع توهم الحصر، ومنها إزالة الإشكال.
* دراسة سبب النزول بمفرده قد يوقع في إشكالات كثيرة أهمها مخالفة سياق الآيات الذي هو معيار قوي لقبول الرواية أو رفضها، والذي يؤدي بدوره إلى ضعف المعنى، واختلال النظم القرآني.
* يعد السياق كالمعيار في الحكم على سبب النزول تقوية، أو ضعفاً.

ثانياً: التوصيات.

* أوصي الدارسين بضرورة العكوف على دراسة القرآن الكريم، وفهمه فهما عميقا، وضرورة الربط بين السابق واللاحق، وفهم سياق الآيات حتى لايخطيء في فهم القرآن الكريم.
* اشتملت كتب المفسرين الأوائل على كنوزغالية ثمينة ؛لذا يجب العكوف

على دراستها، وفهمها فهماً عميقا لعلنا نحظى ولو بجزء يسير مما حظوا به من فهم القرآن الكريم، والعمل به لنيل رضا الله في الدنيا، والآخرة.

* دراسة السياق القرآني دراسة عميقة، وربطه بمباحث علوم القرآن الأخرى كأسباب النزول، وقواعد الترجيح، والقراءات، والإسرائيليات، وغيرها.

* الاهتمام بدراسة مباحث علوم القرآن دراسة وافية لما لها من أثرعظيم في خدمة القرآن الكريم من حيث تحديد مفهومه، وبيان أحكامه.

ثالثاً: الفهارس

- القرآن الكريم.
- أثر السياق في النظام النحوي على كتاب" البيان في غريب إعراب القرآن لابن الانباري" للدكتور نوح الشهري.
- أثر السياق في فهم النص القرآني، للدكتور عبد الرحمن بودرع، مجلة الإحياء، العدد ٢٥.
- الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية، المؤلف شمس محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ) المحقق د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، النشر: ١٤١٨ هـ.
- أسباب نزول القرآن، المؤلف أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)المحقق علي محمد البجاوي
- الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ.
- أطروحة تقدم بها عزيز سليم علي القريشي إلى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها.
- الإمام في بيان أدلة الأحكام، المؤلف أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)المحقق: رضوان مختار بن غربية، الناشر دار البشائر

الإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

- الإيضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) المحقق محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة.
- البحث الدلالي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت ٨٨٥هـ)
- بحر العلوم، المؤلف أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى٣٧٣هـ) بدون سنة طباعة.
- البرهان فى علوم القرآن لبدر الدين الزركشى، تقديم وتعليق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ببيروت، ط أولى ١٤٠٨ - ١٩٨٨. ا
- البرهان في علوم القرآن، المؤلف أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)المحقق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»المؤلف محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى ١٣٩٣هـ) الناشر الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر ١٩٨٤ هـ
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى ١٣٥٣هـ) الناشر دار الكتب العلمية – بيروت.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم لعودة خليل.
- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى ٩٨٢هـ)الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، المؤلف محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى ٣١٠هـ) تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)المؤلف أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى ٦٦٠هـ) المحقق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م،
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)المؤلف محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العظيم، المؤلف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ)المحقق سامي بن محمد سلامة.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)المحقق أسعد محمد الطيب، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية، السعودية، الطبعة الثالثة - ١٤١٩ هـ.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى ٣٢٧هـ) المحقق أسعد محمدالطيب، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربيةالسعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٩ هـ.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المؤلف ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى ٨٠٤هـ)المحقق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

- الجامع الكبير - سنن الترمذي -المؤلف محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى ٢٧٩هـ)المحقق بشار عواد معروف.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، والمعروف باسم صحيح البخاري، المؤلف محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق محمد زهير بن ناصر الناصر
- جمهرة اللغة، المؤلف أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى ٣٢١هـ) المحقق رمزي منير بعلبكي، الناشر دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، الناشر دار الفكر.
- الحجة في القراءات السبع، المؤلف الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى ٣٧٠هـ)المحقق د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، الناشر دار الشروق – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ،
- الحديث والأثر، المؤلف مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى ٦٠٦هـ) الناشر المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى ٤٣٠هـ) الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م
- الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت.
- دلائل الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى٤٧١ هـ) تحقيق د. محمد التنجي، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت/الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى ١٢٧٠هـ)المحقق علي عبد الباري عطية.
- سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، المؤلف ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو

عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى٢٧٣هـ)المحقق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر دار الرسالة العالمية.

- سنن الدارقطني، المؤلف أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى ٣٨٥هـ)حققه وضبط نصه وعلق عليه شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، المؤلف علي بن برهان الدين الحلبي، سنة الولادة ٩٧٥/ سنة الوفاة ١٠٤٤، الناشردار المعرفة بيروت، سنة النشر١٤٠٠ه.
- شعب الإيمان، المؤلف أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى ٤٥٨هـ)حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
- الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م،
- العجاب في بيان الأسباب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن الجوزي.
- عقود المرجان قي قواعد المنهج الأمثل في تفسير القرآن لأحمد سلامة أبو الفتوح.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه

وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

- القراءات وأثرها في علوم العربية، المؤلف: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ) الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- قرائن السياق ودورها في الترجيح بين المفسرين للدكتور أحمد سلامة أبو الفتوح.
- كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، طبعة مؤسسة الرسالة.
- لباب النقول في أسباب النزول، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي
- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر

بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م
- مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٤م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- المشترك اللفظي في الحقل القرآني لعبد العال سالم مكرم، الناشر: موسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٧ه.
- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، المؤلف: عادل بن محمد أبو العلاء، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد١٢٩ - السنة ٣٧ - ١٤٢٥هـ
- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث لمحمد أحمد أبو الفرج.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، المؤلف: محيي السنة، أبو

محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

- معاني القراءات للأزهري، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.
- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).
- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)المحقق: عبد السلام محمد هارون، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، النهاية في غريب
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني شهرته: الزرقاني
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء

المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م. الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م. الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م. الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨

- النشر في القراءات العشر، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ) المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)الناشر: المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]
- نظرية السياق القرآني (دراسة تأصيلية دلالية نقدية) لمحمود المثنى عبد الفتاح، دار وائل، عمان، الأردن، الطبعة الأولى (٢٠٠٨ م).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٨٦
أسباب اختيار الموضوع	٨٦
الدراسات السابقة.	٨٦
المبحث الأول: تعريف السياق القرآني، والفرق بينه، وبين النظم، وأركان السياق القرآني وأنواعه (أقسامه).	**٨٩**
***تعريف السياق القرآني، والفرق بينه، وبين النظم.**	**٨٩**
***أركان السياق القرآني.**	**٩٢**
***أنواعه (أقسامه).**	**٩٦**
المبحث الثاني: سمات السياق القرآني، وأهمية دلالة السياق القرآني في التفسير، وأسباب الاعتماد على دلالة السياق القرآني	**١٠٠**
***سمات السياق القرآني.**	**١٠٠**
***أهمية دلالة السياق القرآني في التفسير.**	**١٠٠**
***أسباب الاعتماد على دلالة السياق القرآني.**	**١٠٦**
المبحث الثالث: السياق القرآني، وأسباب النزول	**١١٠**
أولاً: تعريف سبب النزول، وصيغه.	**١١٠**
ثانياً: أثر دلالة السياق في تضعيف سبب النزول أو تقويته، وترجيحه على غيره.	**١١٢**
***الخاتمة**	**١٣٥**
***أهم النتائج.**	**١٣٥**
***التوصيات.**	**١٣٥**
***الفهارس.**	**١٣٤**
فهرس الموضوعات	**١٤٦**